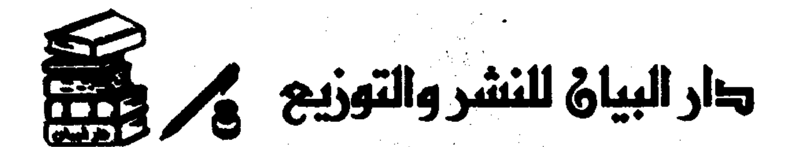
الإسلام وقضية
السلام

الطبعة الأولى

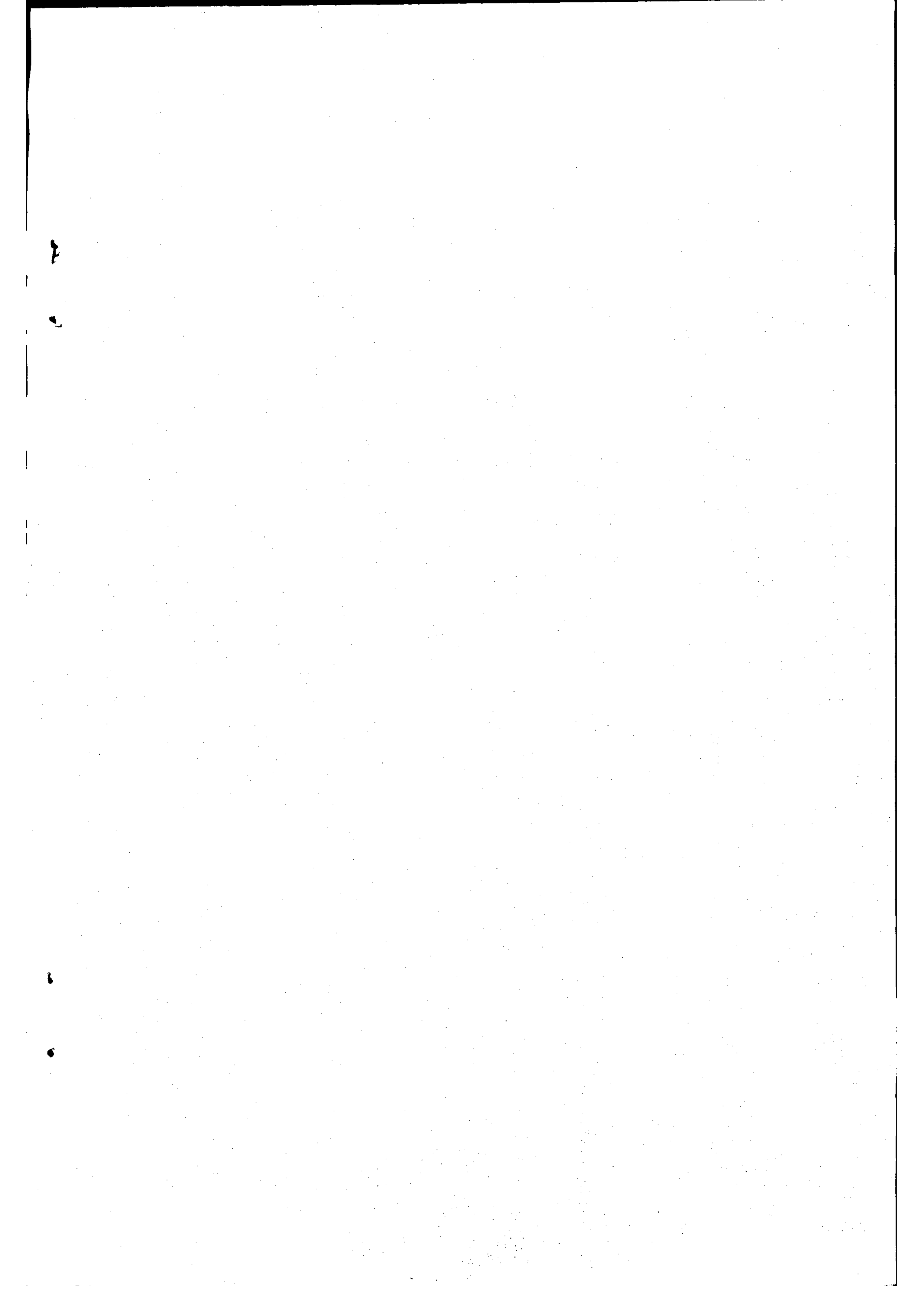
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م



٢٧ ش ابن قتيبة - حي الزهور - مدينة نصر / القاهرة - ت : ٢٦١٣٨٩٨
٧ عمارات الجبل الأخضر أمام نادى السكة الحديد - مدينة نصر / القاهرة
ت وفاكس : ٤٨٢٢٤٨٧

الأستاذ الدكتور يحيى هاشم حسن فرغل
عميد كلية أصول الدين بالأزهر سابقا
وأستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات

الإسلام وقضية السلام



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لا يمكن توقع السلام من أكبر دولة معاصرة - أمريكا وتابعتها قفة الإسرائيلية -بينما هي تتبنى عقيدة دينية أصولية - تسيطر على عقول الأغلبية الناشطة من الشعب الأمريكي والطبقة المتنفذة من السلطة - في حرب قادمة يتم فيها القضاء على الإسلام والمسلمين .

ولا يمكن للمسلمين أن يحصلوا على السلام إذا عملوا له بعيداً عن الاستعداد بالجهاد والردع لهذه القوة المعادية تاريخياً للسلام .

إن السلام إنما نحصل عليه إن عملنا له بشروطنا: أن يتم طبقاً لقانون البديهة وقانون الخالق معاً : يعطي السلامَ من يملكه ، ويأخذ السلام من يطلبه ، ولا يطلب السلامَ من لم يطلبه بالتوجه إلى الله وحده .

أي بالإيمان والتوحيد والإسلام .

وهو - أي السلام - مرتبط بالتقوى والبر والهداية والصبر .

وهو مـــرتبط بنظرة الإســلام إلـى الدين وأنه الـدين الواحد.

وهو مـرتبط بـالفطرة : ولكنـه كـشـأن الفـطرة مع الإسـلام ؛ يفتـرض استـدامـة الخروج عليـهـا بالتنصيـر والتهويد والتمجيس ، والطغيان .

وهو مـرتبط بالتـجـرد والتـرفع عن أعراض الحـيـاة الدنيا، واللغو والتوافه من الأمور.

وهو مرتبط باتباع الصراط المستقيم الذي يهدي إليه الله من يشاء أن يهتدي .

ومرتبط بإنفـاذ شريعـته سبـحانه على هذه الأرض ، كما تنفذ شريعته في السماء .

والخـلاصـة إذن أن الـطريق إلى الســلام يبـدأ من الإسلام ويتـوازى مع الجهـاد ، وينتهي بالسـلام ، وليس العكس .

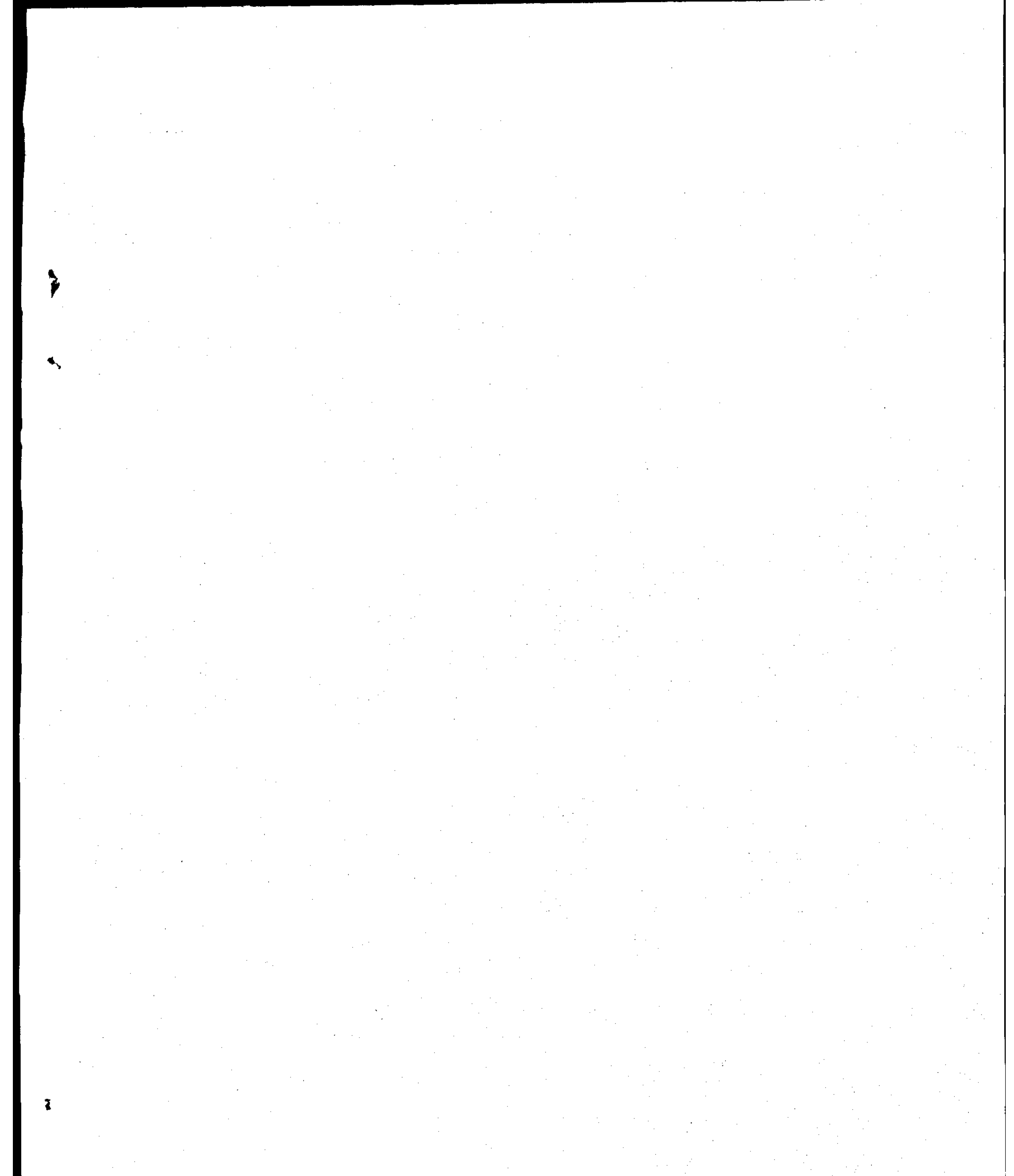
وفي المسافـة ما بين البداية التي هي الإسـلام والنهاية التي هي السلام لا بد من إقـامة مباني الإسـلام ، ومعاني الإسلام .

السلام في الإسلام ليس حالة سلبية تتمثل في إلقاء السلاح ، ولكنه - إسلامياً - صفة إيجابية تتمثل في إنجاز السلام بمعناه الإسلامي ، إنها ليست شروطاً للسلام ولكنها شروط التوجه لمالك السلام ، أي شروط التوجه لله .

وإقامة معاني السلام ومبانيه تعني ما يعبر عنه إسلامياً بـ « سبيل الله » ، وإقامة سبيل الله في الإسلام تتعلق - إذن - بالسلام وبالحرب معاً .

فإذا نحن فعلنا ذلك حصلنا على السلام في الأرض.

❋ ❋ ❋



الفصل الأول
مكانة السلام في الإسلام

أول مـــا يلاحـظه البــاحث فــي مكانة الســلام في الإسلام: أنه اسم من أسمائه تعالى، وهذا بلا شك يرتفع بقيمة السلام ، يقول الله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) ﴾[١].

يقــول : شراح الأســمـاء الحسنــى : إن من معــاني اسمه السلام : أنه المسلّم عباده من المهالك .

وقد أخرج مسلم في « الأذكار » في صحيحه : أن رسول الله ﷺ كان إذا انصرف من صلاتـه استغفر ثلاثاً ، وقال : « اللـهم إنك أنت السلام ومنك الســلام ، وإليك السلام ، يا ذا الجلال والإكرام » .

دعاء كل يوم :

في صحيح البـخاري فيما أخرجـه عن عبد الله بن مسـعود رضي الله تـعالى عنه أنه قـال : كنا نصلي خلف الرسول ﷺ ، فنقول : الســلام على الله ، فقال النبي ﷺ : « إن الله هو الســلام ، ولكن قــولوا : التــحيــات لله ،

---

(١) الحشر : ٢٣ .

والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله».

معنى هذا أن السلام وهو اسم من أسمائه تعالى لا يجوز أن نطلبه له ، وإنما علينا أن نطلبه منه ، ويتقرر هذا الطلب - طلب السلام من الله - على المسلم كل يوم عشر مرات على الأقل ، باعتبار الحد الأدنى من الصلوات المفروضة منه .

وإذا أردنا أن نتتبع استجابة الله تعالى لهذا الطلب فإننا نجد أنه سبحانه وتعالى يضع هذا السلام بين يدي دعوته منذ أقدم تاريخ نعرفه عن الأنبياء .

فبالنسبة لسيدنا نوح عليه السلام يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [١] .

---

(١) الصافات : ٧٥ - ٨٠ .

واستمر الحال كذلك بعد ذلك مع جميع الأنبياء .

قانون السلام كعطية من الله :

نستخلص من هذا العطاء الرباني - عطاء السلام - قانونه الذي يحكم مسيرته ، وعلينا أن نتتبع بروز هذا القانون أمامنا في حلقات هذه المسيرة مع الأنبياء الذين أتوا من بعد نوح عليه السلام ، حيث تبين الآيات الخاصة بسيدنا نوح عليه السلام : لماذا استحق هذا السلام الرباني ؟ لأنه كما يقول الله تعالى كان من المحسنين ، ومن عباد الله المؤمنين .

ونتابع الحلقات : فنجد السلام أيضاً من الله على إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (108) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (109) ﴾ لماذا ؟ ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (110) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (111) ﴾ (1) .

ويأتي السلام كذلك على لوط عليه السلام بعد أن ينزل العقاب على الفاسقين من قومه : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ (58) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (59) ﴾ (2) .

---

(1) الصافات : ١٠٨ - ١١١ .

(2) النمل : ٥٨ - ٥٩ .

إن السلام هنا مرتبط بالعبودية لله ، وإخلاصها له ، كما في قصة نوح وإبراهيم عليهما السلام ، والعبودية تعني التوجه إليه باعتبار أنه وحده خالق السماوات والأرض ، مالك الملك ، مالك الهداية ، مالك السلام ، وهكذا يبدو السلام من سياق الآيات التالية في قصة لوط عليه السلام: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) ﴾(١) .

ومن هنا يتقرر أنه ليس لأحد أن يطمع في السلام إذا كان يطلبه من غيره سبحانه وتعالى .

والسلام كذلك كان على نبي الله إلياسين ، يقول تعالى : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٢٨) وَتَرَكْنَا

---

(١) النمل : ٦٢ - ٦٣ .

عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (١٢٩) سَلامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ (١٣٠) لماذا ؟ يقول تعالى : ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٣٢) ﴾ (١) .

مرة أخرى يرتبط السلام بالعبودية الخالصة لله وحده ، والإيمان به وتقواه .

وكذلك الأمر في سيدنا موسى وهارون عليهما السلام ، ومن تبعهما من المؤمنين، يقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١١٤) وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (١١٥) وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (١١٦) وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١١٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الآخِرِينَ (١١٩) سَلامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١٢٠) لماذا ؟ مرة أخرى : ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٢١) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٢٢) ﴾ (٢) .

ومع سيدنا يحيى عليه السلام ، يقول الله تعالى : ﴿ وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ

---

(١) الصافات : ١٢٣ - ١٣٢ .
(٢) الصافات : ١١٤ - ١٢٢ .

وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥) ﴾ (١) ، لماذا ؟ لأن السـلام هنا مرتبط أيضاً بمعرفة الله ، والتقوى ، والتواضع والطاعة والبر والتطهر : ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) ﴾ (٢) .

ومع ذلك فمن الملاحظ في تتبع الآيات القرآنية أنه يقابل بين السلام والمتعة ، فيجعل السلام للمؤمنين ، والمتعة لغيرهم .

يقول تعالى : ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨) ﴾ (٣) .

علاقة السلام بالهداية :

ونلاحظ أن السلام دعوة تعرض على المؤمن وغير المؤمن ، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ ﴾ ، دعوة شاملة تصل إلى أسماع البشر جميعاً،

---

(١) مريم : ١٥ .
(٢) مريم : ١٢ - ١٤ .
(٣) هود : ٤٨ .

ولكنها تعرض عليهم بشروطها إذ يردفها سبحانه وتعالى في نفس السياق بالهداية التي تعطى لمن يطلبها : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾[1] .

وتتنوع طريقة عرض السلام في صلته بالهدى ، فقد يعرض السلام ليطلبوا الهدى، كما في الآية السابقة، وقد يحفزون إلى طلب الهدى ليتحقق السلام كما جاء في قوله تعالى : ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾[2] .

وهنا يتعلق الخطاب المباشر بأهل الكتاب ، إذ يقول سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[3] .

وهي هنا وإن كانت دعوة موجهة لجماعة معينة إلا

---

(١) يونس : ٢٥ .
(٢) المائدة : ١٦ .
(٣) المائدة : ١٦ .

أنهـا دعوة مـحبـوبة مشـمولة بالوعـد بالعفـو والتنوير ، وترتبط بالصراط المستقيم ، والهداية : ممنوحة لمن يطلبها.

ويرتبط الســلام بالهـدى الممنوح لمن يـطلبـه مـرة أخرى في دعـوة موسى عليـه السلام، إذ يأمـره الله تعالى وأخاه أن يـأتيا فـرعون : ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ ﴾[1] .

ومع سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام :

يأتي أمـر الله له في قـوله تعـالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[2] .

ويأتى أمر الله له :

﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[3] .

---

(١) طه : ٤٧ .
(٢) الأنعام : ٥٤ .
(٣) الزخرف : ٨٩ .

ويرتبط السلام هنا - ممنوحاً كان أو مطلوباً - بالإيمان والتوحيد والإخلاص ، والتوجه لمن يملك .. إذ يأتي مع ما تقدم قوله تعالى : ﴿ وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٨٧) وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لاَّ يُؤْمِنُونَ (٨٨) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٨٩) ﴾ [1] .

قل : سلام . هكذا قول مطلق ، قل سلام واتركهم يطلبونه ولا تقل سلام عليكم ، لأنهم لم يطلبوه بعد .

وهم لا يكونون طالبين له إلا أن يطلبوه ممن يملكه ، الذي - هو في نفس الوقت- يملك ذواتهم « خلقهم » ويملك كل شيء .

أما أن يطلبوه ممن لا يملكه فذلك عجب في القول، وعجب في المنطق ، .. إنهم عندئذ يضيعون الطلب ، ويضيعون المطلوب : السلام .

وكما يأتي الأمر لمحمد ﷺ فإنه يأتي للمسلمين

---

(١) الزخرف : ٨٦ - ٨٩ .

عندما يضربون في الأرض في سبيل الله : يختلطون بالمؤمنين سلفاً ، ويختلطون بالمؤمنين آنفاً ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا : ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً ﴾، أمر صريح مشمول بالحرص على السلام وبالتنبيه والتحذير من استبدال المتعة الدنيوية به ﴿ تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾ (١) .

عنصر التجرد :

وبذلك يتبين عنصر جديد يضاف إلى مسيرة البحث عن السلام إسلامياً : ذلك هو عنصر التجرد والترفع عن أعراض هذه الحياة الدنيا ، إذ بغير هذا التجرد يتبدد السلام.

وهنا تعلن حقيقة شديدة الأهمية تغيب عمن اشتهروا بمحاولة صنع السلام : تلك هي أن السلام لا يطلب لأعراض هذه الحياة الدنيا ، بل إن الأمر على العكس من ذلك : إنه يطلب بالترفع عليها .

---

(١) النساء : ٩٤ .

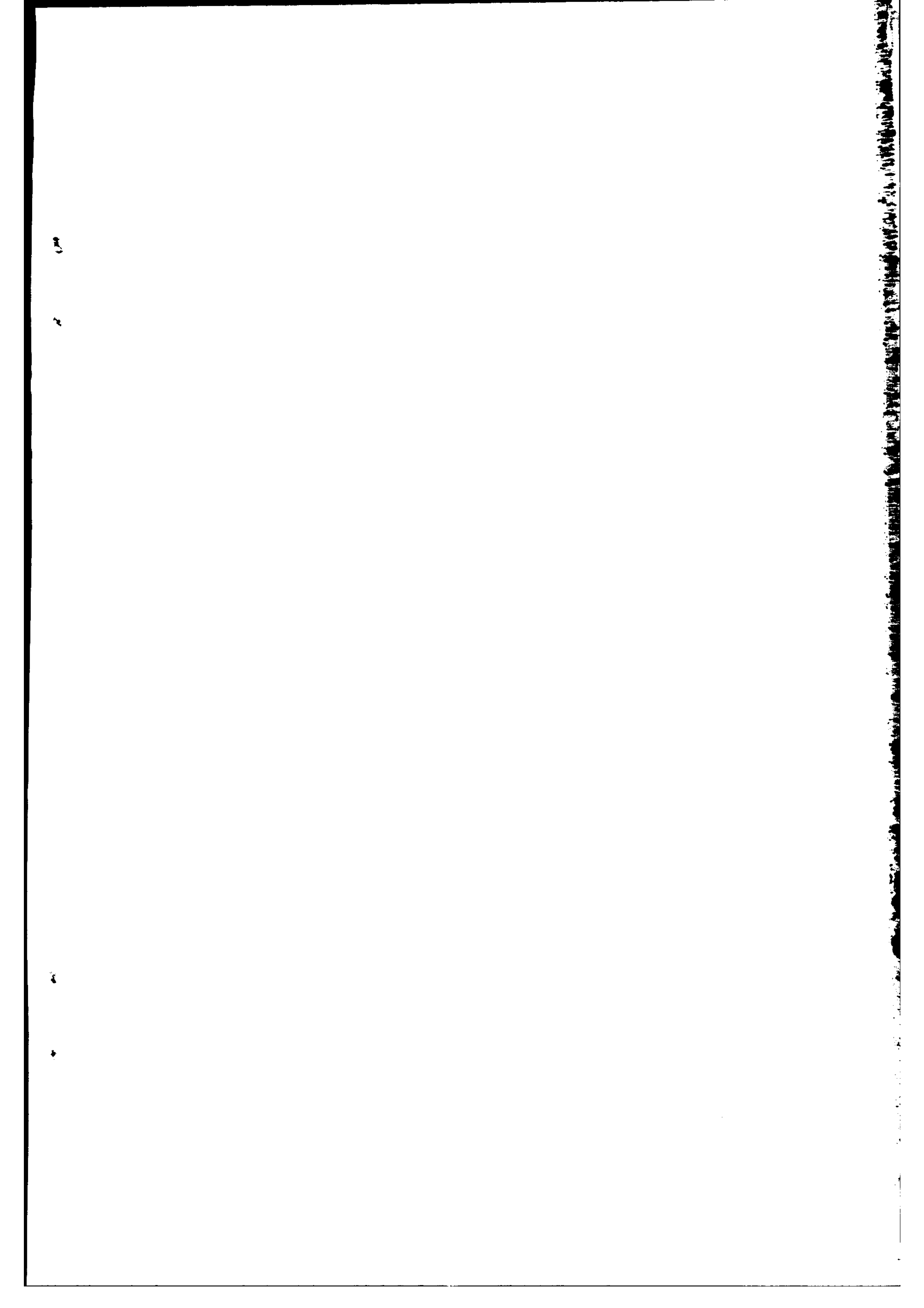
واتفاقاً مع الطبيعة البشرية : التقاء وارتقاء : فإن الأمر لا يتوقف عند هذا الترفع، وإنما يظهر معه عنصر الثواب الآجل عند الله : ﴿ فعند الله مغانم كثيرة ﴾ .

وهذا يعني أنه لا بد في السلام من تضحيات ، ومع هذه التضحيات يأتي أحسن الجزاء ، لأنها مغانم عند الله، وما أدراك بحسن المغانم إذ تكون « عند الله » .

وإذا كان الحصول على السلام لا يكون إلا مع التسليم لله ، والتضحية في سبيله، فإنه من باب أولى لا يكون إلا بالإعراض عن كثير من التوافه ، أو من اللغو ، مما يكون علاجه الإعراض يقول تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ (١) ، وهي آية تقرر أن الذين يهددون السلام بأخذهم بشيء من اللغو ، إنما هم الجاهلون ، الجاهلون بقيمة أنفسهم ، والجاهلون بقيمة السلام : ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥) ﴾ .

ولعل السلام هنا لا يعني مجرد الإعراض بقدر ما يعني معه تشويق الجاهلين إلى ما يعرض عليهم ، وإلى

(١) القصص : ٥٥.



السلام والفطرة الإنسانية :

من الأمـور البديهـية أن يكون السـلام مطلب الفطرة الإنسـانيـة بوجـه عـام ، إنه حـتى الذين يسـارعـون إلى الحـرب يفعـلون ما يفـعلون - غـالبـاً - بدافع الهلع من خسران السلام .

إن السـلام لـهـو من المطالب الأسـاسـيـة لـلفطرة البشـرية، وإن تحقيق هذا المطلب - في الرؤية القـرآنية - لهو من أسمى ما يجزي الله به أولياءه ، ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) ﴾ [١] .

وإنه لهو النعـمة التي إذا أنعم بها على غيـر أوليائه فإنما ليصل بها إلي أوليائه من خلالهم ، ﴿ لإِيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّـذِي أَطْعَـمَهُـم مِّن جُـوعٍ وَآمَنَهُـم مِّنْ خَوْفٍ (٤) ﴾ .

وإن الشريعة الإسلامية عند مـا قررت القتال بصفة استثنـائية ، قررته وهي تبين كراهتـه في النفس البشـرية

---

(١) يونس : ٦٢.

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٢١٦) ﴾[1] .

معنى هذا أن السلام فطرة في النفس البشرية ، ولما كان الدين الإسلامي هو دين الفطرة طبقاً لقوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[2] ، فإنه من المؤكد أن السلام في الإسلام قضية أصيلة نابعة من نفس الأسس التي يقوم عليها هذا الدين .

من هنا فإنه من منطلق الفطرة هذه جاء الحديث النبوي الشريف - وهو يدعو إلى إفشاء السلام - رابطاً بينه وبين إطعام الطعام ، فطرة في الحالين ، فقد سئل ﷺ فيما رواه الإمام البخاري بسنده عن عبد الله بن عمرو عن (أي الإسلام خير ؟ قال : أن تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف) ولمسلم مثله، ويرجع تأصيل السلام في الإسلام أيضاً - إلى حقيقة

(١) البقرة : ٢١٦.
(٢) الروم : ٣٠ .

الكلمة - كلمة السلام - حيث السلام والإسلام من مادة لغوية واحدة ، فالإسلام هو إسلام النفس لله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [1] ، وهو في الوقت نفسه إسلام هذه النفس لمن يملك السلام .

مالك السلام والطريق إليه :

إن إسلام النفس لغير الله نهايته النكران والضلال ، والهلاك ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (٨٦) وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٨٧) ﴾ [2] .

ضلوا وأضلوا إذ ألقوا إلى الله يومئذ السلم متخلفين عن الوقت الصحيح لهذا الإلقاء .

والسلام في الإسلام مرتبط - في تأصيله - بنظرته إلى الأصل الإنساني ، وأنه أصل واحد ، يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ

(١) النساء : ١٢٥ .
(٢) النحل : ٨٦ - ٨٧ .

وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ (١)، تلك دعوة موجهة إلى الإنسان الذي يرجع أفراده جميعاً إلى أصل واحد .

وهي دعوة تربط بين تقوى الله ، وتقوى الأرحام ، وما ذا تعني تقوى الأرحام - عند ذوي الأصل الواحد - غير السلام ؟!

وفي هذا الأصل الواحد يأتي أيضاً قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (٢) .

فها هو النداء « للناس » يقرر أصل الإنسانية الواحد، ثم يقرر أن اختلافهم إلى شعوب وقبائل إنما هو من أجل التعارف .

والتعارف ماذا يكون إلا دعوة إلى التواصل في ظل الأمن والسلام ؟!

وتأصيل السلام - أيضاً - في الإسلام مرتبط بنظرته

(١) النساء : ١.
(٢) الحجرات : ١٣.

إلى الدين ، وأنه الدين الواحد من عند الله : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ (١) .

ويرتبط تأصيل السلام في الإسلام بأصل من أصوله المقررة ، إذ يرفض على سبيل القطع إكراه أحد في الدين بعد أن يكون قد تبين الرشد من الغي ، ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (٢) ، ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) ﴾ (٣) .

ارتباط السلام بالنصر :

وإنه ليرتبط السلام - القائم على الإيمان والتسليم لمالك السلام - بالنصر في دعوة الرسل جميعاً ، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٤) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (١٧٦) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ (١٧٧) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصِرْ

(١) آل عمران : ١٩ .
(٢) البقرة : ٢٥٦ .
(٣) يونس : ٩٩ .

فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ (١) .

وفي هذه الآيات نبصر ضوءاً جديداً على جوانب مهمة من طبيعة السلام في الإسلام : فبالإضافة إلى ما في هذه الطبيعة من ارتباط السلام - في الإسلام -- بقيم محددة : بقيم الإيمان ، والتوحيد ، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم .. والتضحية ، والجزاء الأخروي ، بالإضافة إلى ذلك نجده كذلك :

مرتبطاً بالصبر ، إذ يقول تعالى : ﴿ فتول عنهم حتى حين ﴾ .

مرتبطاً بسنن الله في الكون ، التي تقضي بتسلسل الأسباب وانتهائها إلى النتائج ، إذ تأتي الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى : ﴿ وأبصر فسوف يبصرون ﴾ .

مرتبطاً بهامش من سوء التقدير عند أعداء الإسلام: ﴿ أفبعذابنا يستعجلون ، فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين ﴾ .

---

(١) الصافات : ١٧١-١٨٢ .

مرتبطاً بتدخل الإرادة الإلهيـة بالإنعام على البشر ، ممن هم مـربوبون له ، وهم جـميـعـاً تحت رعـايته ، إنـعامـاً يستـحق الحمد ، ويستـحق الشكر ، إذ تأتي هذه الإشارة أيضاً في قوله تعالى : ﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾ .

مرتبطاً كذلك بتدخل الإرادة الإلهية بجند الله : بشراً كانوا أو ملائكة ﴿ وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ .

مرتبطاً بالنصر ، طبـقاً للنظرة البعيدة غيـر المتعجلة : ﴿ ولقـد سـبـقت كلمـتنا لعـبـادنا المرسلين إنهم لـهم المنصورون ﴾ .

والنصـر الذي تتـحـدث عنه الآيات ، والذي يعنيـه القرآن الكريم لا يكون فورة تفور ثم تغور ..

إنه ليس نصـر الإسكندر ، ولا نصـر جنكيز خـان ، ولا نصـر نابليون ، ولا نصـر هتلر .. فهـذا كله هو الزبد الذي يذهب هباء ..

أين في الدنيـا الذيـن عـادوا أنبـيـاء الله ؟ أين الذين عادوا نوحاً وأين نوح ؟ أين النمروذ وأين إبراهيم ؟ أين فرعون وأين موسى ؟ أين يهوذا وهيرودت وأين عيسى؟

أين الذين ذبحوا يحيى وأين يحيى ؟ أين أبو لهب وأبو جهل وأين محمد ؟ : عليهم - أنبياء الله - جميعاً صلوات الله وسلامه .

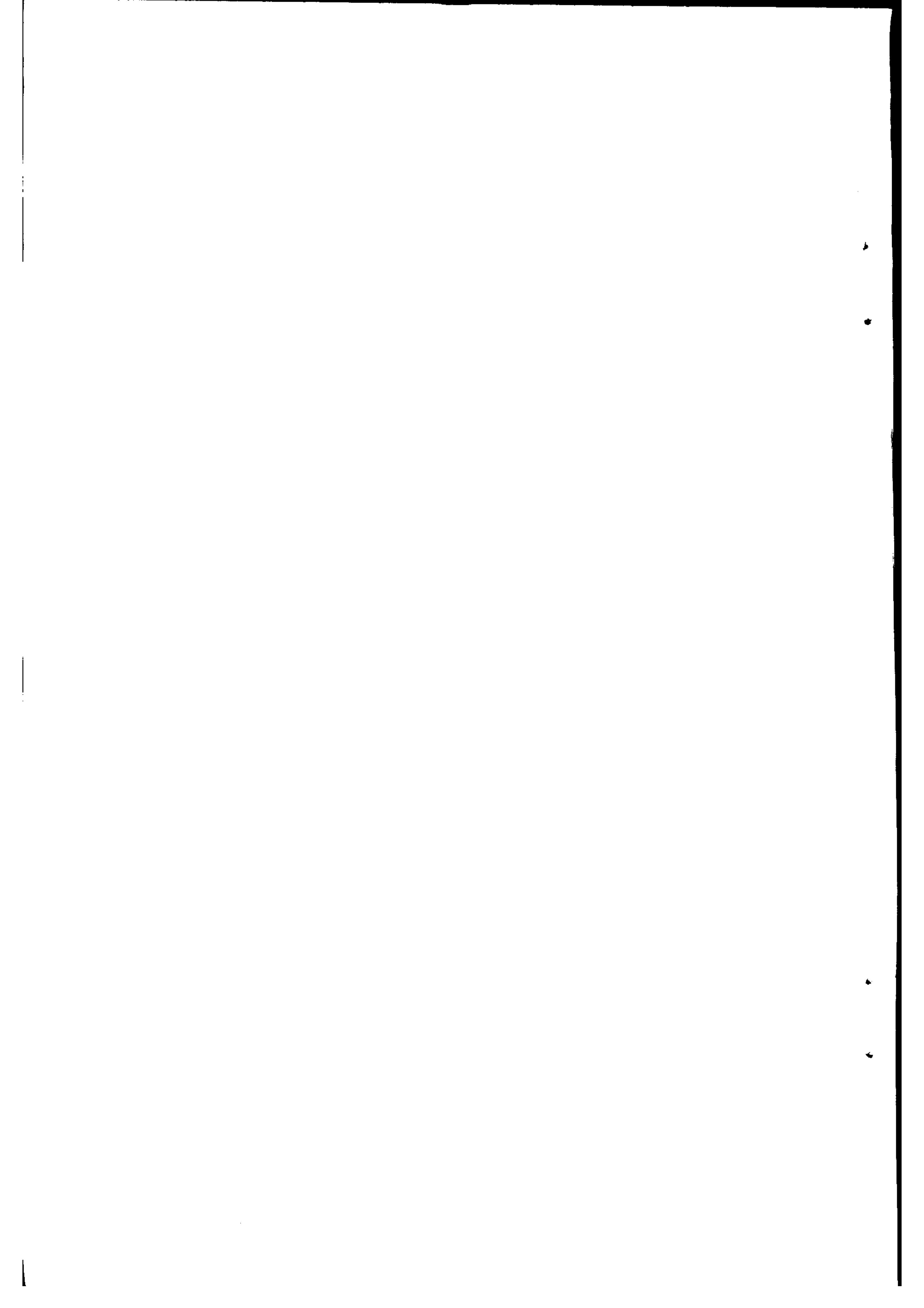
في كل ذلك ذهب أعداء الأنبياء إلى محرقة التاريخ ، وصعد أنبياء الله فوق منارات الإنسانية ، وجلسوا فوق عرش التوجيه لمسيرة البشر :

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (١) .

ومفاهيم النصر ليست في السلطة ، أو الجاه ، أو القدرة على إذلال الآخرين واستعبادهم ، وإنما هي تتمثل فيما ذكره القرآن نصراً لبعض أنبيائه ونموذجاً لمفاهيم النصر الحقيقي : الكتاب المستبين ، والصراط المستقيم ، والسلام المستمر في الآخرين ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١١٤) وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (١١٥) وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (١١٦) وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١١٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ (١١٩) سَلَامٌ

---

(١) غافر : ٥١.



﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [1] .

من هنا ومن حيث إن الدعوة الإسلامية تنزل إلى الإنسان لتبدأ معه الصعود من نقطة كينونته .. فإننا نجد أن الإسلام لا يدعو إلى السلام في فراغ .

السلام وسبيل الله :

إن السلام في الإسلام له مفهومه الخاص الذي لا يتحقق بعيداً عن طلب السلام ممن يملكه وهو الله سبحانه وتعالى ، ومعنى هذا كما ذكرنا سابقاً أن مفهومه لا يبتعد عن مفهوم التوجه إلى الله تعالى بالإسلام والإيمان والتقوى والإحسان والفطرة الصادقة ووحدة الإنسانية في ظل وحدة الدين عند الله ، وهو باختصار مفهوم « في سبيل الله » .

ليس من الصواب أن ينظر إلى الحرب في الإسلام بمقياس الحرب الدفاعية أو الهجومية لأن كلا الوصفين ناشيء من قيمة واحدة يصدران عنها وهي قيمة التملك

---

(1) البقرة : ٢٥١ .

ولكن المسألة في الإسلام تصدر من قيمة أخرى هي قيمة الحق الذي يعبر عنه في الإسلام بـ (سبيل الله) انتصاراً له أو اعتداء عليه .

وعندئذ فالجهاد في سبيل الله يأتي كحركة تصويب وإرجاع إلى سبيل الله بعد أن ينحرف عنه البشر.

والمسألة في الإسلام تقوم على بعدين أحدهما كوني والآخر تعاقدي :

أما البعد الكوني فيتم التعبير عنه بعبارة هي من ذاتيات الإسلام (في سبيل الله).

وتوضيح ذلك : أن كل ما في الوجود يتحرك في سبيل الله ، ومشكلة الإنسان أنه قد أراد الله له أن يتحرك حركته في سبيل الله كما هو الشأن في المخلوقات جميعاً، ولكن باختياره ومسئوليته وإرادته .

في سبيل الله بالنسبة للطبيعيات هو ما نسميه«قوانين الطبيعة » : بالنسبة للشمس كذا ، وبالنسبة للقمر كذا ، وهكذا بالنسبة للرياح والذرة والخلية والزهرة ...إلخ.

أما في سبيل الله بالنسبة للإنسان فهو أوامره ونواهيه ، في الدين والتشريع والأخلاق والتربية والاقتصاد .

في سبيل الله تعني بالنسبة للإنسان : انخراط كل نشاط إنساني في حركته وفقاً لإرادة الله وأوامره ونواهيه.

وإذن فكل نشاط إنساني فردياً كان أو دولياً يخرج عما يريده الله وبينه في شريعته .. لا يقال عنه إنه خارج على سبيل الله ، ولكن يقال عنه بحق : إنه اعتداء على سبيل الله .

ومن هنا تسقط المعركة المصطنعة حول الجهاد ، وهل هو هجومي أو دفاعي ...إلخ .

إذ يكون مجرد وجود نمط من السلوك البشري على هذه الأرض مخالف لشريعة الله التي بينها في رسالاته التي حملها الأنبياء . يعني مقدماً أن اعتداء وقع على سبيل الله ما كان ليقع من غير الإنسان الممتحن - والمنعم عليه معاً - بخاصية الاختيار .

من أجل هذا كان كل قتال بنية إقامة سبيل الله في المجتمع الإنساني ودفع اعتداء عليه هو في سبيل الله ﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾ .

وأما البعد التعاقدي فيتمثل في « عقد الإسلام » الذي دخلت فيه أمة المسلمين مع الله في بدء حركتهم في دين الله - تلك الحركة التي استهدفوا فيها منذ البداية : النجاة بدخول الجنة ، وهو عقد لا يكون بغيره لأمة المسلمين مبرر وجود ، ولا يكون لهم في الإخلال به مبرر نجاة .

يتمثل ذلك في نص العقد الشهير في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١) ، نعم إن السلام يتقرر في الإسلام باعتباره أصلاً ، كما بيناه وكما يقول أستاذنا الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله : (إن الأصل في العلاقات بين المسلمين وغيرهم هو السلم ، وإن ذلك رأي الجمهرة العظمى من الفقهاء ، والقلة التي خالفت كان نظرها إلى الواقع لا إلى الأصل ، وكان ما قررته حكماً زمنياً وليس أصلاً دينياً) (٢) .

---

(١) التوبة : ١١١ .

(٢) العلاقات الدولية في الإسلام ص ٥٢ نشر دار الفكر العربي .

نعم : إن السلام يتقرر في الإسلام أصلاً فطرياً ، ولكنه كشأن الفطرة عموماً هناك من يخرج عليها ومن ذلك فطرة الإسلام ، وفطرة السلام ، ومن هنا فإن الإسلام يلقي الأضواء على الجوانب الخفية أو الظاهرة التي قد يأتي منها الخطر ، ويفعل ذلك في نفس القوت الذي يقرر فيه السلام . فهو - أي السلام - إنما يجد مناخه الصحي - كما هو الشأن في الإسلام عموماً - في جو التعامل بالحكمة والحسنى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١) .

ثم هو بعد ذلك - إذ تتأزم الأمور - إنما يجد مناخه الصحي في جو العدل : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ (٢)، ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ

---

(١) النحل : ١٢٥.
(٢) العنكبوت : ٤٦.

يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (١) .

فإذا انحسر العدل ميئوساً من عودته جاء الاستثناء من الأصل : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢) .

أما قبل ذلك - أي قبل وقوع العدوان على سبيل الله أو ظهور دلائله - فإن الرسول ﷺ يقول : « لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية » رواه البخاري ومسلم، فإذا ظهر العدوان أو ظهرت دلائله كان الحكم كما في قوله ﷺ في بقية الحديث السابق : ﴿ فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ﴾، وكما في قوله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ

---

(١) الممتحنة : ٨ .

(٢) الممتحنة : ٩.

لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[1] ، ﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾[2] .

ولا يعني الاستثناء الذي نتحدث عنه كونه أمراً عارضاً ، ولكنه الاستثناء المستقر في مجمل العلاقات الإنسانية على هذه الأرض، والذي يحتاج إلى تشريع يعالجه عند الظهور.

ومن هنا تتصاعد المواجهة ضد هذا الاستثناء ، باعتبار هذه المواجهة دفاعاً عن الأصل ، وباعتبار هذا الاستثناء واقعاً وارداً : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾[3] .

وتتصاعد المواجهة في حرص على الأصل الذي هو السلام : ﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ﴾[4] .

وعندما يصبح الحرص على السلام مهدداً للسلام نفسه تتصاعد المواجهة درجة أخرى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ

---

(١) الحج : ٣٩- ٤٠.
(٢) الشورى : ٤١.
(٣) الحج : ٣٨.
(٤) النساء : ٩٠ .

وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَائِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾(1) .

وهنا تأتي الحرب ، عندما يشهر العدوان أو تظهر دلائله الغالبة : ﴿ وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ (2) .

وإذا كان من الواضح أن الدعوة إلى القتال في هذه الآيات - السالفة - معللة بالعدوان على سبيل الله ، أو خشية العدوان ، بعد أن تظهر دلائلهم ، فإن الآيات التالية وهي تأمر بالقتال دون أن تذكر العلة محمولة على التعليل السابق ذكره :﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (3) .

---

(1) النساء : 91 .
(2) النساء : 75 .
(3) التوبة : 5 .

معنى هذا أن الله عز وجل أذن في القتال ، دحراً للعدوان الواقع على سبيل الله، أو صداً للعدوان المحتمل غالباً ، حيث ذكر السبب في بعض الآيات ، وتركه في بعضها الآخر ، اكتفاء بعلمه من الآيات السابقة عليها .

ويظهر هذا المعنى وفقاً لما هو مقرر من المبادئ الأصولية من أن المطلق يحمل على المقيد في حالة تماثل السبب .

وكما أن التقييد يكون واضحاً في حالة ما إذا كان المقيد متأخرًا في النزول على المطلق ، فكذلك يأتي التقييد في حالة ما إذا كان المقيد سابقاً في النزول على المطلق باعتبار السابق في حكم المصاحب لما نزل بعده ، لأنه أي السابق آيات مستقرة ثابتة في القرآن يلتفت إليها المكلف في وقت التفاته إلى الآيات اللاحقة .

ولا فرق - عملياً - بين هذا التفسير وبين ما ذهب إليه بعض العلماء من أن كلاً من هذه الآيات معمول به في موضعه ، وفي مثل ظروفه ، طالما فهمنا تعليل القتال بأوسع من ظروف العدوان الواقع ، بأن يشمل العدوان الواقع والمحتمل غالباً : على المال ، أو على الأرض ،

على العرض أو على العقل ، على الدين أو على السلام، فتلك كلها « في سبيل الله » وهي مقاصد للشريعة مأمور بحفظها .

وليس من أسباب القتال محض المخالفة في الدين ، ولكن تأتي أسبابه في هذه الحالة - ضمن أسباب أخرى - عندما يعتدي على سبيل الله بمنع الدعوة إليها ، يقول الحنفية : (الآدمي معصوم ، ليتمكن من حمل أعباء التكاليف ، وإباحة القتل عارض سمح به لدفع شره) ، وقالوا أيضاً : (الكفر ليس علة لقتالهم) ، ويقول مالك رضي الله عنه : « لا ينبغي لمسلم أن يريق دمه ، ولا أن يريق دماً إلا بحق » ، ويقول الحنابلة : « الأصل في الدماء الحظر إلا بيقين الإباحة » [1] .

وتتراوح حالة المواجهة التي نتحدث عنها وفقاً للحالة العدوانية التي عليها أعداء الإسلام ، يقول تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾[2] .

---

(١) انظر العلاقات الدولية في الإسلام-للدكتور وهبة الزحيلي نقله من «اختلاف الفقهاء» للطبري ص ١٩٥ تحقيق شاخت .

(٢) الأنفال : ٦١.

أما قبل هذا الجنوح - وبعده أيضاً - فلا بد من حماية السلام عن طريق الحصول على القوة ، حسب نظرية الردع .

الردع الذي يصل إلى منع العدو من التفكير في القتال حماية للسلام ، ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (١) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾(٢) ، ويظهر حرص الإسلام على السلام - وهو في دفاعه عنه في حالة القتال الاستثنائية - من شروطه التي وضعها للقتال ، وهي شروط تجعل من هذا القتال حرباً أشبه بالسلم ، فهو يوجب قصر الحرب على المقاتلين ، فينهى عن التدمير والتحريق والتغريق ، وقتل الأطفال والنساء والشيوخ ، والتمثيل بالجثث ، وقطع الأشجار ، يقول الرسول ﷺ في وصاياه لبعض جيوشه : « اغزوا باسم الله ، في سبيل الله ، وقاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلّوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا

(١) الأنفال : ٦٠.
(٢) النساء : ٧١.

وليـداً » ، رواه مـسلم بسنده عن سليـمـان بن بريدة عن أبيه.

وفي روايـة لأبي داود في سـننه بسـنده عن أنـس بن مالك رسول الله يأتي قوله ﷺ: « انطلقوا باسم الله وبالله ، وعلى ملة رسول الله ، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ، ولا طفلاً ، ولا صغـيراً ، ولا امرأة ، ولا تغُلّوا ، وضـعوا غنائمكم ، وأصلحوا ، وأحسنوا ، فإن الله يحب المحسنين » .

ولا يمنع ذلك من المعاملة بالمثل إذا دعت الضرورة .

وأين شريعة غير الإسلام توجب في الجهاد أن تكون نفـقتـه - على المقـاتل - من كسب حـلال [1] ، ليـكون مقبولاً عند الله ، لأنه لا يقبل إلا طيباً ؟!

تلك حـرب أشبـه بالسلم ، إن لم تكن سلمـاً أشبـه بالحرب .

ونظلم الإسـلام إذا وقفنا هنا لنلتـفت إلى ما يـجري على الساحة الدولية بعامة من تدمير المدن ومئات الآلاف من غير المحاربين في طلقة نووية واحدة ، وإلى ما يجري

---

(١) انظر « تنبيه الغافلين» للسمرقندي في آداب الغزو.

بين جيش إسرائيل وأطفال الانتفاضة الفلسطينيين : نظلم الإسلام أن نضعه هنا في موضع المقارنة ، فهي كأنها مقارنة بين الماء الطهور الذي يغسل ، وبين الماء النجس الذي يسمم .

وأخيراً يحذر القرآن من حديث للسلام يأتي في غير موضعه ، إذ السلام لا يكون مع الهوان ، والذين تحدثهم نفوسهم بالسلام قبل أن تتحقق شروطه بأن تزول كراهته من نفوس أعدائه لمجرد بادرة من هنا أو خداع من هناك .. يوقعون أنفسهم في الهوان ، ولا يحصلون على شيء من السلام .

وهذا هو المقصود في قوله تعالى : ﴿ فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ [1] .

ومن هنا كان حرص الإسلام على المراقبة الدائمة لتلك الحالة الاستثنائية : حالة نشوب الحرب ، فجعل الجهاد فرضاً من فرائضه ، وهَمّاً من هموم المسلم يحدث به نفسه ولا يغفل عنه ، ولا تفرط فيه الأمة الإسلامية ما

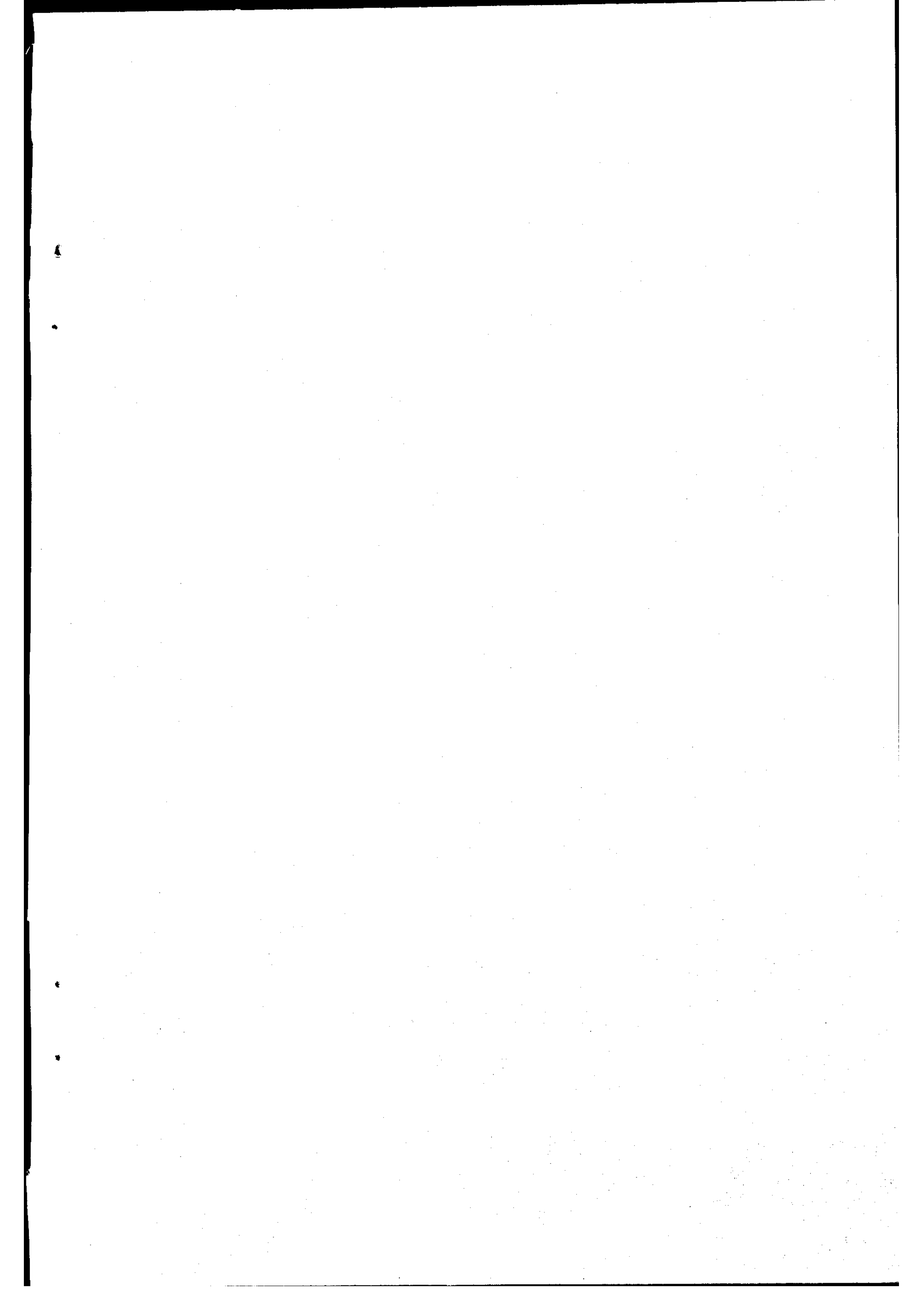
---

(١) محمد : ٣٥.

دام هناك حلفاء الشيطان أعداء الإسلام ، وهم موجودون ما دامت الحياة الإنسانية ، يقول ﷺ : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق » رواه النسائي في سننه ، والبيهقي كذلك.

ومن المزايدة الفارغة على الإسلام في هذا المقام أن ينكر المنكرون عليه فريضة الجهاد ، لأنهم إذ ينكرونها فإنما يدعون إلى حالة من الفوضى يصبح السلام معها أمراً مستحيلاً .

* * *



الفصل الثاني

أخلاقيات السلام

أخلاقيات السلام

والذين يعملون من أجل السلام عليهم أن يعملوا في الوقت نفسه على تحقيق ما يعيش عليه في بيئة أخلاقية .

إن السلام لا يقوم لكلمة تقال أو لقانون يوضع وإنما هو صناعة تتطلب توفير ظروف موضوعية له ، تبدأ بكيان الفرد وتأخذ بيده في صنع السلام مع نفسه أولاً ثم في صنعه مع الآخرين بعد ذلك .

ومن هنا تأتي مكانة حسن الأخلاق في الإسلام : صنعاً منهجياً موضوعياً للسلام.

إن الذين يوجهون السلام ويدعون إليه ويساعدون عليه هم - مرة أخرى - أولئك الذين يشتقون هذا السلام من صفاتهم باعتبارهم « عباد الرحمن » .

يقول تعالى : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ﴾ إلى آخر سورة الفرقان ، إنهم يبلغون هنا قمة الإيمان أو هم يجمعون فضائله .

ويضيق بنا المقام هنا عن الرجوع إلى هذه الآيات بالشرح والتفصيل ، ولكن يكفي أن نشير هنا إلى عناصر صنع السلام في هذه الآيات : ﴿ الذين يمشون على الأرض هوناً ﴾ ، ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾، ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ﴾ ، ﴿ ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ﴾ ، ﴿ والذين لا يشهدون الزور ﴾ ، ﴿ وإذا مروا باللغو مروا كراماً ﴾ :

إن السلام إذا كان يحتاج إلى بيئة أخلاقية - وهو بالتأكيد لا بد له من ذلك - فإن البيئة الأخلاقية اللازمة لنشأته واستمراره واستوائه سلاماً حقيقياً هي بيئة « عباد الرحمن » ، ومن يرغب في معرفة هذه البيئة عليه أن يعود لقراءة هذه الآيات ، لكي تكون محاولة صنع السلام هي في الوقت نفسه محاولة لصنع البيئة التي يمكن أن يتنفس فيها .

ومنزلة الأخلاق في البناء الإسلامي تبين كيف أعد الإسلام للسلام بيئته المناسبة .

يقول رسول الله ﷺ فيما رواه أبو داود بسنده : «إن المرء ليدركه حسن خلقه درجة الصائم القائم » ، ويقول

فيما رواه الإمام أحمد في مسنده : « ما من شيء أثقل عند الله من حسن الخلق » .

ويقول الإمام الغزالي : « حسن الخلق هو الإيمان وسوء الخلق هو النفاق ، وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين في كتابه وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق » .

إننا نجد أخلاق السلام في الإسلام في كل عناصره العقدية والتشريعية والتربوية ، ومع ذلك فإننا نجدها في الإسلام موضع عناية خاصة في مجموعة خاصة من الأخلاق يمكن أن نسميها أخلاق السلام ، تلك التي تتناول أدب المعاملة ، والحلم والتواضع ، والصبر ، والرفق بالضعفاء والعدل ومقاومة الظلم .

الرفق :

لمسلم بسنده عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي عليه مالا يعطي على العنف » ، وفي الصحيحين قال رسول الله ﷺ : « يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله » .

وإن أولى الناس بالرفق هم أهل البيت ، ولأبي

الليث السمرقندي بسنده عن أنس ابن مالك رضي الله عنه سئل رسول الله ﷺ : « أي المسلمين أكمل إيماناً ؟ قال : أحسنهم خلقاً مع أهله » ، وله أنه قال رسول الله ﷺ : « استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم لا يمكن لأنفسهن شيئاً وإنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله » ، وللترمذي بسنده من حديث ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ : «تدرون من يحرم على النار يوم القيامة ؟ كل هين لين سهل قريب » .

العفو :

ومن أخلاقيات السلام : العفو الذي يجري بين الأفراد فيصنع قاعدة إنسانية للسلام ، فقد أخرج الترمذي بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما رأيت رسول الله منتصراً من مظلمة ظلمها قط ، ما لم ينتهك من محارم الله » ، ويقول تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) ﴾ [1] ، وأخرج مسلم بسنده وللترمذي

---

(١) آل عمران : ١٣٣-١٣٤.

مثله : « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد عبد بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه » ، وفي رواية لمسلم بسنده أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما تعدون الصرعة فيكم ، قلنا : الذي لا يصرعه الرجال ،قال: ليس بذلك ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب » .

الحلم :

ومن أخلاقيات السلام في تربية الأفراد الحلم : وفي رواية عن أنس رضي الله عنه ذكرها صاحب الشفاء قال: « كنت مع النبي ﷺ وعليه برد غليظ الحاشية ، فجبذه أعرابي جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد على صفحة عاتقه ثم قال : « يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك ، فإنك لا تحمل لي من مالك أو مال أبيك ، فسكت النبي ﷺ ثم قال : المال مال الله وأنا عبده ، ثم قال : ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي ، قال: لا ، قال : لم ؟ قال : لأنك لا تكافئ السيئة بالسيئة فضحك النبي ﷺ ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر » .

وبينما كان الرسول ﷺ قائلاً تحت شجرة في

إحدى غزواته بعيداً عن إخوانه تصدى له غورث بن الحارث ، وفاجأه بسيفه المصلت على رأسه يريد أن يفتك به ، وقال : من يمنعني؟ فقال رسول الله ﷺ :«الله» فارتعد غورث وسقط السيف من يده فأخذه الرسول ﷺ وقال : من يمنعك مني ؟ قال : كن خير آخذ ، فتركه وعفا عنه ، فجاء إلى قومه فقال : جئتكم من عند خير الناس ، وهكذا كان الداخلون في الإسلام ثمرة من ثمرات حلمه وخلقه .

ومن حلمه ﷺ ما يدل عليه دعاؤه إلى الله بعد أن لقي من ثقيف ما لقي من مطاردة وإيذاء : « اللهم أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، أنت رب المستضعفين ، إلى من تكلني ؟ إلى قريب يتجهمنى ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك سخط علي فلا أبالي » ، إذ نزل عليه جبريل آنذاك يقول له: (إن الله أمرني أن أطيعك في قومك لما صنعوه ..) ، فقال ﷺ : « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ، وهكذا كانت الأمة الإسلامية بأسرها - إذن - ثمرة هذا الحلم وهذا العفو .

وروى أبو داود بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً كان يسب أبا بكر رضي الله عنه بحضرة النبي ﷺ وأصحابه فصمت عنه أبو بكر ، ثم آذاه الثانية فصمت عنه أبو بكر ، ثم آذاه الثالثة فانتصر منه أبو بكر ، فقام رسول الله ﷺ فقال أبو بكر : أوجدت علي يا رسول الله؟ فقال : نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك ، فلما انتصرت وقع الشيطان ، فلم أكن لأجلس إذا وقع الشيطان » .

ويعلمنا الإسلام التنفيس عن الغضب وتوجيهه وجهة غير ضارة بتصرف قولي : فقد روي أنه تشاتم رجلان عند النبي ﷺ فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه فنظر النبي ﷺ إليه فقال : « إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » ، أو بتصرف جسماني معاكس، يقول ﷺ : « إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » من الحسان - مصابيح البغوي ، ويقول ﷺ : « إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه

الغضب ، وإلا فليضطجع » .

ومهما يكن فليس هكذا دائماً يكون العفو والتخلص من الغضب دون مراعاة للظروف المحيطة ، فهناك - إسلامياً - وجهان للتخلص من الغضب : وجه يتعلق بمن يصح موادتهم والإحسان إليهم على الوجه الذي يثمر في النهاية عفواً وإحساناً وإصلاحاً على النحو المذكور ، ووجه يتعلق بمن لا مفر من مواجهتهم من الذين يعتدون منهجياً على الإسلام والمسلمين ، وذلك بتصريف الغضب على النحو الذي يحقق الاستفادة منه بحكمة وبصيرة ، وإن أدى إلى القتال: ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ﴾ (١) .

رعاية الضعفاء :

ومن أخلاقيات السلام في الإسلام رعاية الضعفاء: يقول رسول الله ﷺ فيما أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وأحمد : « ابغوني الضعفاء ، فإنما

(١) التوبة : ١٥ .

ترزقون وتنصرون بضعفائكم » ، وعندما رأى ﷺ من سعد بن أبي وقاص أنه يرى أن له فضلاً على من دونه قال له : « هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم » أخرجه البخاري .

ومن أصناف الضعفاء اليتيم : يقول ﷺ فيما أخرجه الأربعة : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى » ، ومن أصنافهم الأرملة والمسكين يقول ﷺ فيما أخرجه الشيخان والترمذي : « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل » ، ومن أصنافهم الشيخ ، يقول ﷺ فيما أخرجه الترمذي : « ما أكرم شاب شيخاً إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه» ، ومن أصنافهم البنات ، يقول ﷺ فيما أخرجه الشيخان والترمذي : « من يلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن ستراً من النار » ، ويقول فيما أخرجه الترمذي وأبو داود : « من عال جاريتين حتى يدركا دخلت أنا وهو الجنة كهاتين » ، ويقول فيما أخرجه الترمذي وأبو داود : « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله

فيهن فله الجنة » .

ومن أصنافهم الحيوان : ففيما أخرجه الشيخان أن النبي ﷺ قال : « بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل ما بلغ بي ، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه .. فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له ، قالوا : يا رسول الله وإن لنا في البهائم لأجراً ؟ قال : نعم ، في كل ذات كبد رطبة أجر » .

ومن أصنافهم الخادم ففيما أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي مسعود رضي الله عنه قال : « كنت أضرب غلاماً لي فسمعت صوتاً من خلفي : « اعلم أبا مسعود » - مرتين - لله أقدر عليك منك عليه ، فالتفت فإذا هو النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله هو حر لوجه الله ، قال أو لو لم تفعل للفعتك النار » .

ومن وجوه رعاية الضعفاء في الإسلام : صون كرامتهم ففيما أخرجه أبو داود والترمذي بسندهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : من قذف

مملوكه وهو بريء مما قال جلد له يوم القيامة حداً » ، والعفو عن أخطائهم ففيما أخرجه أبو داود والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله كم تعفو عن الخادم ؟ فصمت ، فأعاد الكلام فصمت ، فلما كان في الثالثة قال : سبعين مرة » ، ولقد كان صمته ﷺ - فيما يستنبط من الحديث - عتاباً بليغاً للسائل : كيف يظن أن لهذا العفو حداً ؟ فجاءه بالسبعين ، ومن مظاهر رعايتهم التضامن معهم : « المسلمون كرجل واحد ، إن اشتكى عينه اشتكى كله ، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله » ، وبالشفاعة « اشفعوا تؤجروا » ، وبالنصرة : ظالماً بمنعه من الظلم أو مظلوماً بدفع الظلم عنه : « ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موضع ينتهك فيه من حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته ، وما من امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب نصرته .

وتأتي نصرة الله أو رزقه لعباده بفضل الضعفاء ، باعتباره ثواباً يمنحه الله للأقوياء لما قاموا به من رعاية

الضعفاء ، أو بسبب دعاء الضعفاء وإخلاصهم في الاستعانة بالله ، أو بسبب كونه حقاً خالصاً للضعفاء وضعه الله بين أيدي الأقوياء وأجراه على أيديهم امتحاناً لهم ، ولا يتم شيء من ذلك إلا بشرط التوجه فيه إلى الله ﴿ أبغوني .. ﴾ ، وهو يعني في نهاية الأمر نقل الفضل - جزئياً - من الأقوياء إلى الضعفاء ، وبذلك ينكمش غرور الأقوياء بقوتهم ، والأغنياء بغناهم ، وترتفع نفوس الضعفاء إلى مستوى من احترام النفس يساوي مستوى الأقوياء ، بل إنهم ليدلون عليهم عندئذ ، ويتحقق بذلك سبب لتواصل ما بين الطرفين فلا تمتلئ نفوس الضعفاء بالحقد على الأقوياء ، ولا يزهو الأقوياء بقوتهم ، ولا يضيق الأقوياء بوجود الضعفاء بينهم ، ذلك كله دون أن يتطور الأمر إلى تمجيد الضعف واتخاذه هدفاً ، يضمن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (1) ، وقوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ﴾(2) ، وقوله ﷺ : « المؤمن القوي خير

---

(1) النساء : ٧٦.
(2) آل عمران : ١٤٦.

وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير » .

وإذن فليس في الإسلام دعوة إلى الضعف ، وإنما ذلك منه اعتراف بواقع ومداواة لجرح ، ودفع للضعف إلى تجاوز حالته ارتفاعاً لمستوى القوة ، وبهذا يوضع الركن الأساسي في أخلاقيات السلام ، ومن ثم في صنع السلام ويتبين الفرق الكبير - في مجال صنع السلام - بين المنهج الإسلامي وبين فلسفة العصر التطورية ، والتي أدت بنيتشه إلى أن ينادي : « لا القناعة بل المزيد من القوة، لا الفضيلة بل العنف،لا السلام العام بل الحرب».

التواضع :

ومن أخلاقيات السلام التواضع : يقول تعالى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [1] ، وقال ﷺ فيما أخرجه مسلم : « يقول الله تعالى : الكبرياء ردائي والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنم ، ولا أبالي » ، وأخرج ابن ماجه بسنده - والحاكم وصححه - أن رسول الله ﷺ : « بصق يوماً على كفه

(١) لقمان : ١٨ .

ووضع إصبعه عليه وقال : «يقول الله تعالى : ابن آدم أتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه ؟ حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين ، وللأرض منك وئيد ، جمعت ومنعت ، حتى إذا بلغت التراقي قلت : أتصدق؟ وأنَّى أوان الصدقة؟! » .

وقال الفضيل بن عياض وقد سئل عن التواضع ما هو : أن تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي ، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته » ، وقال الحسن يوماً لأصحابه : « أتدرون ما التواضع؟ التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلماً إلا رأيت له عليك فضلاً » .

وفي التراث الإسلامي قولهم : « أرفع ما يكون المؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه ، وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه » ، وقولهم : « لا عز إلا لمن تذلل لله عز وجل ، ولا رفعة إلا لمن تواضع لله عز وجل ، ولا ربح إلا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل ».

ويمكننا أن نقول : إن ما فيه الإنسانية اليوم من شقاء إنما هو من داء الكبر : العقلانية كبر على الله ، العلمانية كبر على الشريعة ، الاستعمار كبر على الإنسان ،

الدكتاتورية كبر على المجتمع ، الطبقية كبر على الضعفاء، الانحراف والفساد كبر على الحق ، الفيتو في مجلس الأمن كبر على العالم ، العولمة الأمريكية كبر على الآخرين .

تحريم اللعن :

ومن أخلاقيات الإسلام الصانعة للسلام التشديد على تحريم التلاعن والتشاتم ، وفي هذا السياق نذكر قوله ﷺ فيما رواه الإمام الترمذي بسنده : « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ، ولا البذيء » ، (الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها) وللترمذي من حديث سمرة بن جندب قال قال رسول الله ﷺ : « لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم » ، وقال ﷺ : «لعن المؤمن كقتله » متفق عليه ، وأخرجه الترمذي بسنده قال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا الأموات فتؤذوا به الأحياء » .

وأخرج ابن أبي الدنيا بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أربعة يؤذون أهل النار ، يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور : رجل يسيل فوه قيحاً

ودماً ، فيقال له ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث » .

ومن هنا قال العلماء : إنه لا يصح اللعن إلا بلفظ العموم ، كما جاء في الشرع الحنيف : لعنة الله على الظالمين ، لعنة الله على الكافرين ، لعنة الله على الفاسقين، أو على طوائف من هؤلاء كأن يقال : لعنة الله على الزناة ، لعنة الله على آكلي الربا، أو على شخص ثبت فيه اللعن شرعاً ، كقولك : لعنة الله على فرعون ، أما الدعاء باللعن على شخص معين فهو فضلاً عن كونه يمزق سبل السلام ، فإنه دعاء عليه بتثبيت حاله على الكفر ، فهو إذن سؤال من الله بنصرة الكفر ، فهو في نفسه كفر ، وللمسألة وجوه أخرى لا تحصى هنا .

حتى مع الحيوان : فقد روى الإمام مسلم بسنده عن عمران بن الحصين أنه : بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذا امرأة من الأنصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها ، فقال ﷺ : « خذوا ما عليها وأعروها فإنها ملعونة » ، قال : « فكأني أنظر إلى تلك

الناقة تمشي بين الناس فلا يتعرض لها أحد » ، وبذلك : وقع العقاب على المرأة ، وتم إطلاق الناقة في سلام وخير حال ، ووقع العقاب على لاعن الحيوان في موطن آخر فيما أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد جيد عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أنه كان يسير رجل على بعير مع الرسول ﷺ ، فلعن بعيره فقال ﷺ : « يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون » .

حتى مع الكافرين : فقد نهى ﷺ ، أن يسب قتلى بدر من المشركين ، فقال : « لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يخلص إليهم شيء مما تقولون ، وتؤذون الأحياء ، ألا إن البذاء لؤم » .

أخلاق محمد ﷺ :

وتأتي أخلاقيات رسول الله ﷺ كجماع للأخلاق الإسلامية الصانعة للسلام :

وذلك فيما يروى عن أبي سعيد الخدري في قوله لأبي سلمة عندما سأله عما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم : يا ابن أخي : كل لله ، واشرب لله ، والبس لله ، وكل شيء من ذلك دخله زهو

أو مباهاة أو رياء أو سمعة فهو معصية أو سرف ، وعالج في بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله ﷺ في بيته : كـان يعلف الناضـح ، ويعـقل البـعـيـر ، ويقم البـيت ، ويحلب الشاة ، ويخصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويأكل مع الخادم ، ويـحمل عنه إذا أعـيا ، ويشتـري الشيء من السـوق ، ولا يمنعه الحـيـاء أن يعلقه بـيده أو يجـعله في طرف الثوب ، وينقلب إلى أهله ، يصافح الغـني والفقير والكبير والصغير ، ويسلم مـبتدئاً على كل من استقبله ، ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجـه ، لا يستحيي من أن يجيب إذا دعي إن أشعث أغبر ، ولا يحقر ما دعي إليه ، هين المؤنة ، لين الخلق ، كريم الطبيعـة ، جميل المعاشرة ، طليق الوجه ، بسـام من غير ضـحك ، محزون من غـير عبوس ، شـديد من غير عنف ، متواضع في غـير مذلة ، جـواد من غيـر سرف ، رحـيم لكل ذي قربى ومـسلم ، رقيق القلب ، دائم الإطراق ، لم يبشم قط من شبع ، ولا يمد يده من طمع ، قال أبـو سلمة : فدخلت على عـائشة رضي الله عنها فـحدثتها بما قـال أبو سعيد : فـقالت : ما أخطأ منه حرفـاً ، ولقد قصـر إذ ما أخبـرك أن رسول الله

ﷺ لم يمتلئ قط شبعاً ، ولم يبث لأحد شكوى ، وإن كانت الفاقة أحب إليه من اليسار ، وإن كان ليظل جائعاً يلتوي ليله حتى يصبح ، فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ، ولو شاء أن يسأل ربه فيؤتى بكنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها من مشارق الأرض ومغاربها لفعل ، وربما بكيت له مما أوتي من الجوع فأمسح بطنه بيدي وأقول : نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع ؟ فيقول: يا عائشة: إخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا ، فمضوا على حالهم وقدموا على ربهم وأكرم مآبهم، وأجزل ثوابهم ، فأجدني أستحيي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي دونهم ، فأصبر أياماً يسيرة أحب إليَّ من أن ينقص حظي غداً في الآخرة، وما من شيء أحب إليَّ من اللحوق بإخواني وأخلائي «قالت عائشة رضي الله عنها: فوالله ما استكمل من ذلك جمعة حتى قبضه الله » (١) .

العدل :

إذن فلا بد من بيئة أخلاقية لصنع السلام ، وهذا

---

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي (٢/ ٣٣٥).

يعني أن محاولة اصطناعه دون تحقيق الحد الأدنى من هذه الأخلاقيات - ألا وهو العدل - تجعل منه عملاً مضاداً للأخلاق .

إنه عندما تكون عقيدة المجتمع الأساسية - كما في الغرب - هي ما تحويه فلسفة التطور من آليات الصراع والتكيف والبقاء للأقوى فإن الدعوة إلى السلام مع تربع هذه الفلسفة على عرش الحضارة والثقافة والقانون تكون دعوة لتمكين الظالم من المظلوم ، ومحض إضافة إلى وسائله في سفك الدماء ، إن الظلم ظلمات يوم القيامة ، وهو كذلك في الدنيا ، وإن الظالم ليتمنى أن يبعد عن نفسه ظلمات يوم القيامة ولو بملك الأرض كلها ، يقول تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ﴾ (١) ، ويقول تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ (٢) .

---

(١) يونس : ٥٤.
(٢) الزمر : ٤٧.

وإنه إذا كنا نشكو من الظلم وضياع السلام على مستوى العلاقات الدولية فإنه أجدر بنا أن نمتنع عن الظلم في دوائرنا الشخصية سعياً منا إلى صنع السلام مع النفس ، ثم الانطلاق منه إلى صنع السلام مع الآخرين ، أجدر بنا أن نشيع السلام في ضمائرنا ، وفي بيوتنا مع أولادنا وأزواجنا وأهلينا ،والسلام في شوارعنا والسلام في أعمالنا ، أجدر بنا أن نمتنع عن الظلم الذي يدمر السلام في هذه المجالات جميعاً ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ (١) ، وإن الظالمين لينزل بهم سوء الدنيا قبل أن ينزل بهم عذاب الآخرة : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾(٢).

وأخطر الظلم ما كان في حقوق العباد : إنك كما جاء في الأثر : « إن لقيت الله بسبعين ذنباً فيما بينك وبين الله تعالى أهون من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد » (٣) .

(١) الزخرف : ٦٥ .
(٢) البقرة : ٥٩ .
(٣) « تنبيه الغافلين » للسمرقندي.

وإنه لمن أشـــد أنواع الظلم أن نتـــبـرع نحن بمســـاندة الظالمين في شبه سلام لا أساس له من العدل يقول تعالى : ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ (١) .

التحدي الأخلاقي المعاصر :

إن التـحـدي المعـاصـر للسـلام تحـد أخـلاقي ، على مستـوى البشر ، فهناك الدمار بأسلحـة الدمار الشامل التي تنتظر في مخازن الكبار ، وبالإيدز الذي ينتظر في مخادع الفســاق ، وعلى مـسـتـوى الطبيـعـة : بالنفـايات الذرية والتلوث البيئي ، والانقـلاب المناخي ، وهلم جرا ، فكيف تحل المشكلة أو مشكلة المشاكل هذه ؟ إنها لا يمكن أن تحل بغيـر الضوابط الأخـلاقيـة الدينية التي أهملتـها الحـضارة المعاصـرة ، واستبـدلت بها أخـلاقيات المكسب والخسارة والصراع والتطور ، كيف يمكن لهذه الحضارة وقد تغلغل في عروقها الإيمان بفلسفة التطور والصراع والبقاء للأقوى أن تمارس صناعـة السـلام ؟ وإذا كــان بعـضنا يـعـجب بأخلاقيات لهم فوجدوا عندهم شيئاً من الصدق أو الأمان فإنها في حـقيقتهـا تدعو للرثاء كما تدعو للســخرية ، إنها

---

(١) هود : ١١٣.

وقـد صدرت عن أسس غـيـر دينيـة واتجهت إلى غـايات دنيوية بحتة صارت إلى نوع من التـجارة التي يقصـد بها القوة والتفـوق والسيطرة ، ولذلك فقدت جـوهر الطهارة النفسية ، وجرت إلى نوع من المظالم والقلق والاضطراب والصـراع لم يشهـد لها العـالم مـثيـلاً ، ولذا فإنهـا - من وجهة النظر الإسلامية - ليست من حسن الخلق في شيء، وهي لم تثمر ولا يمكن أن تثمر شيئاً في صنع السلام .

يتـحـدثون عن الـصـدق في المعـاملة عنـد الرجل الأوربي، أي صـدق هذا ؟ أي صدق في تجـويع الشـعب العـراقي ؟ أي صـدق في إبادة الشـعب الـبـوسني ؟ أي صـدق في نزع سـلاح الضـعـيف وتـكديس السـلاح في ترسـانـة القـوي ؟ أي صـدق فـي تسليح شـعب سـرق الأرض ، وتحريمه على شعب سرقت منه ؟ أي صدق في معـاملات تجاريـة محسـوبة بنتائج الربح والخسارة ؟ أي صدق فـي معامـلات وظيفـية مـحسـوبة بنتائج التـوظف والبطالة ؟ أي صـدق فـي مـعـاهدات دوليـة مـحـسـوبة بإمكانـات الخـرق والإبطـال؟ أي صـدق في وصــفــهم حـركـات التــحـرير بالإرهاب ، ووصـفـهـم حكومـات

الإرهاب بالشـرعيـة ؟ أي صـدق في أنواع من الانضبـاط ليس فـيهـا شيء من الفـضيلة أكـثـر مما في انضبـاط الآلة والكمبيوتر وأجهزة الروبوت ؟

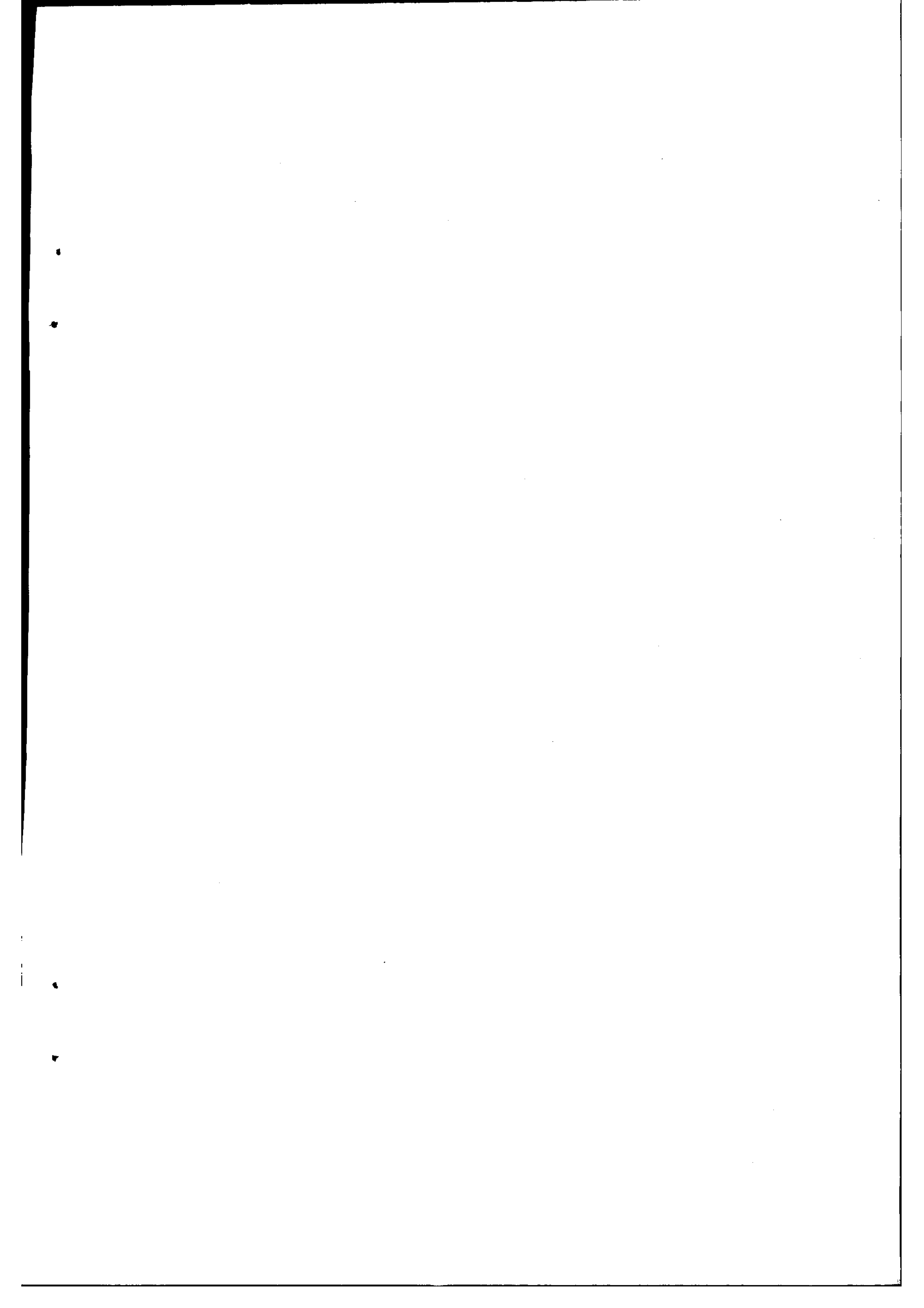
إن الأسـاس الإلهي للـسـلام هو الأسـاس الأخـلاقي الديني الثابت الذي يمكن أن يطمئن إليه الإنسان بسلام ...

لقـد كانت هناك ومـا زالت فلسـفات تحـاول أن تضع أساسـاً إنسانـياً للأخـلاق تستمـده من اجتـهادات العـقل ومـبـاحث العلوم ، وبمقـدار مـا بين هذه الفلسـفـات من اختلافات وشكوك كانت الأخلاق التي تقـوم عليها مهتزة القـواعد مـضطربة المقـاييس ، وكانت المجـتـمعـات التي تبحث عن أساسـيات لأخلاقها بين تلـك النظريات فريسة للتعاسة والفوضى والتمرد والتمزق ، وقد انتهت أحدث هذه الفلسفات إلى أن الأخلاق ليست إلا أوامر أو رغبات تعبر عن إرادة أصحـابها ، وإذن - وكنتيجة غيـر مقصودة لأصحـاب هذه الفلسفة - فالأسـاس الإلهي هو الأساس الوحيـد الذي يصح أن يأخذ به الإنسـان وهو مطمئن إلى أصالة مصدره وسلامة منهجه لأنه يقوم على أوامر من له وحده حق إصدار الأوامر وهو صانع الإنسان ..

إن الدعوة إلى السلام إذا لم تكن مرتكزة على الأخلاق ، مشمولة بالإنصاف قائمة على العدل تصبح الدعوة في هذه الحالة دعاية ، بل تصبح نوعاً من الخديعة ، وتتحول إلى وسيلة من وسائل استمرار الحروب .

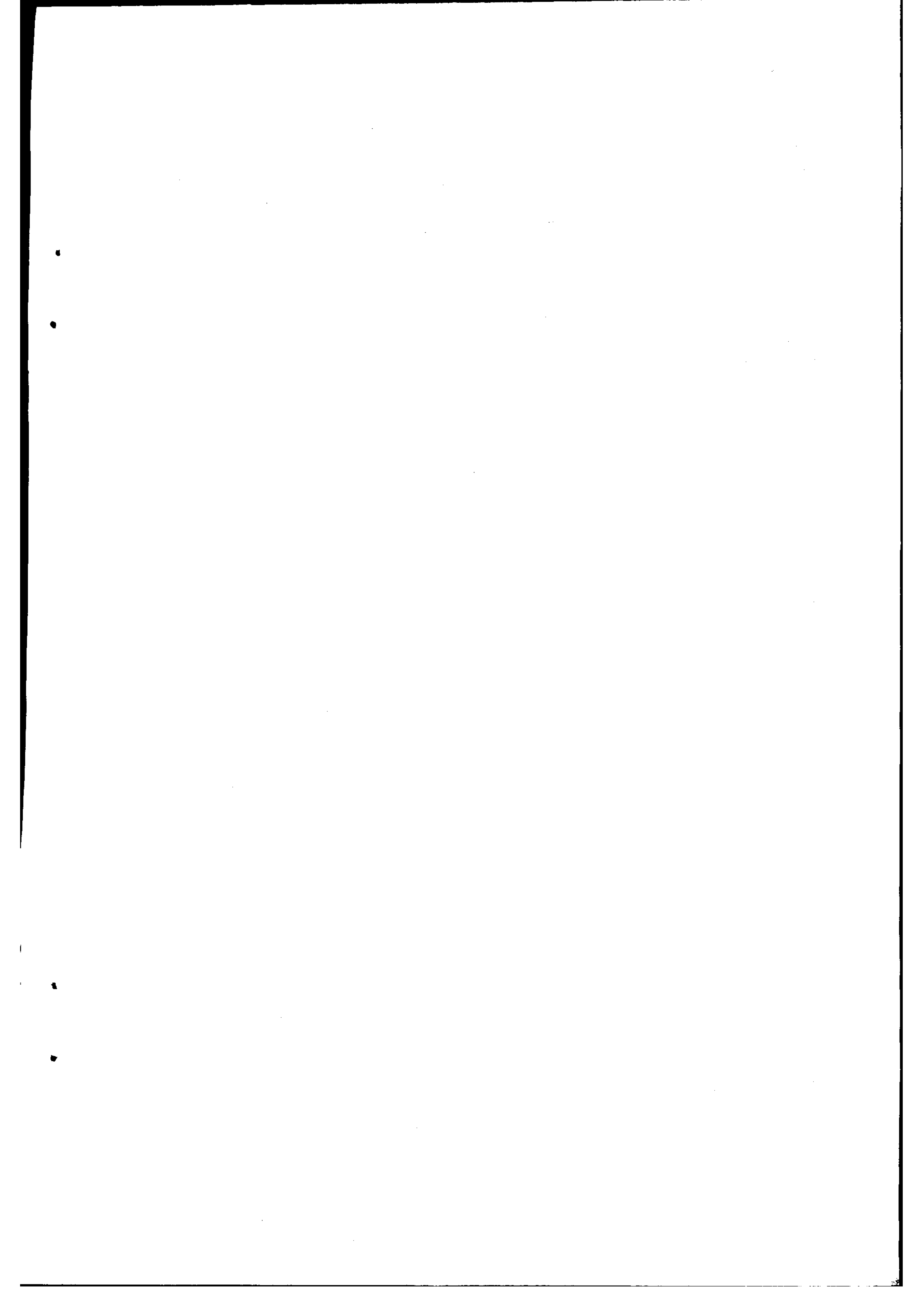
علينا أن نعمل على إسقاط فلسفات الصراع ، وإدانة جميع ألوان الاستعمار ، وعلينا أن نتآزر من أجل نصرة الشعوب المظلومة ، وأن نقوم بواجبنا في الجهاد من أجل الأطفال والنساء والشيوخ والشباب الذين يقتلون في المعارك ، أو يصلبون على الأرائك ، أو يشردون على نواصي الطرقات ، أو يطاردون بين قلل الجبال ، وسفوح الوديان ، في أنحاء الأرض ، وعلى امتداد المعمورة ، في : البوسنة والهرسك ، وكوسوفو ، وألبانيا ، وأفغانستان ، والفيلبين ، وبورما ، وكشمير ، وفلسطين ، والعراق ، وكردستان ، والجولان ، وجنوب لبنان ، والسودان ، إلى شعوب أخرى يهز أنينها قلب السماء ، وإن كانت آذاننا عنه ما تزال بعد صماء .

❋ ❋ ❋



الفصل الثالث

عداء الأصولية الإنجيلية الصهيونية للسلام



إن السـعي للسـلام في الإسـلام لا يصح أن يكون في غفلة عـما يعـد للمسلمين من عـدوان يتم فيه اسـتئـصال الإسـلام والمسلمين من منطقـة الشـرق الأوسط لحسـاب الأصولية المسيحية الصهيونية استكمالاً لمحاولات لم تهدأ منذ ظهر الإسـلام ، إن الغفلة الثقافيـة عن هذا العدوان لا تعدو أن تكون مؤامرة ضد الإسلام وخيانة للسلام .

وترجع حركة الأصولية المسيحية الصهيونية التي تهدد السلام إلى حـركة الإصلاح البـروتستانتـي التي قامت في أوربا في القرن السـادس عشر ، وتبدأ القصـة مما قامت به البروتستانتية من إعـادة الفرد المسيحي إلى الكتاب المقدس لفهمه مستقلاً عن الكنيسة ، وجعل العهد القديم – ما فيه مما يزعم أنه توراة – مـادة للقـراءة والتفـسير الديني مـرة أخـرى . مما أدى إلى إعـادة اكـتـشـاف الجـذور اليـهـودية للمسيحية .. وأدت هذه الحركـة إلى فتح السفر المختوم – سفـر رؤيا يوحنا – اللاهوتي أحد أسـفار العهـد الجديد ، هذا السـفر الـذي كان مـغلقـاً أيضاً ، لا يـقرأ إلا من قـبل الكنيـسـة الكاثـوليكيـة ، وهو يمثل الآن الأسـاس الأكـثـر

تفصيلاً لما يسمى (عقيدة الملك الألفي) ، ومع ذلك فإن هذه العقيدة لم يؤمن بها في بداية الأمر إلا بعض فرق البروتستانت ، ثم ظهرت حركة « الأطهار » في انجلترا ، حيث رأى هؤلاء أن أمريكا هي بالنسبة لهم أرض الميعاد الجديد ، لذا كانت الهجرة الأولى للأطهار تحمل معها نزعة عبرية ، وتتجلى عقيدة الملك الألفي في ثلاث دوائر متداخلة : يأتي في قلبها الأصولية المسيحية المعاصرة ، وهي بالتحديد ما أصبح يسمى بالحركة الأصولية المسيحية الصهيونية ، ويأتي في الدائرة الوسطى ما يسمى الأصولية الاقتحامية وتشمل التيار المتشدد للحركة الإنجيلية ، وفي الدائرة الخارجية يأتي ما يسمى الأصولية التبشيرية وهي الجسم الأكبر للحركة الإنجيلية أو الإنجيلية المحافظة .

أما الحركة الأصولية الاقتحامية فهي الأصولية المؤمنة بالملك الألفي وعودة المسيح بعد عودة اليهود وإعادة بناء هيكل سليمان ، وقيام الحرب النووية بين الخير والشر، وهؤلاء يؤيدون إسرائيل باعتبارها تحقيقاً لنبوءات الكتاب المقدس .

لكن السؤال هو : متى يعود المسيح ؟ هنا تظهر

نظريتـان عند أصحـاب العقيـدة الألفيـة : النظرية الأولى وتسـمى الأصوليـة البعـد ألفيـة ، وهي تعتـقد أن المسـيح سوف يعـود للأرض بعد أن يـحكم المسيـحيون الـعالم ، ويبنون ملكاً مسيحياً أرضياً لمدة ألف عام .

والنظرية الثانية وتسمى الأصولية القبل ألفية ، وهي أن يسوع المسيح سوف يعـود للأرض ليبدأ هو حكم الأرض بنفسه لمدة ألف عام ، وهذه تنقسم إلى شعبتين :

شـعبـة سيـاسيـة يقـوم المؤمنون بهـا بتنفيـذ الخطوات الممهدة لعودة المسيح بأنفسهم .

وشعبة تـدبيرية ، وهي شعبتان : إيجـابية : حيث ينتظر المؤمنون حدوث الملك الألـفي ، ولكن مع مساعـدة وتأييد لعلاماته ومنهـا إسرائيل ، وشعبة تدبيرية انعـزالية : حيث ينتظر المـؤمنون بهـا انتظاراً سـلبيـاً ينحـصـر في الدعـاء والصلاة دون أي دور إيجابي.

وهذه القـبل ألفـيـة تنـقـسم من ناحـيـة أخـرى إلى قـسمين: فـبعـضهم يؤمن بـأن المؤمنين المسيـحيين سـوف يعـيشون فـترة الحـرب العالميـة المنتظرة في هر مـجدون - وهي سـبع سنوات - قبل عـودة المسيح ، وقـسم يؤمن بأن

المؤمنين سوف يختطفون إلى السماء قبل فترة السنوات السبع للحرب ، ثم يعودون بعدها ليعيشوا في المملكة التي يكون قد بناها المسيح لمدة ألف عام .

ويرجع الدكتور رفيق حبيب إلى موسوعتين هما « موسوعة العالم المسيحية » و « موسوعة عملية العالم » تقوم كل منهما بمهمة تصنيف العالم حسب الدين ، وتصنيف المسيحيين حسب الطائفة ، وتصنيف المسيحيين داخل كل طائفة حسب موقفهم الفعلي من الإيمان ، ومن موسوعة « عملية العالم » نفهم - كما يقول الدكتور رفيق حبيب - : أن الهدف النهائي والإحصاء الأهم هو معرفة عدد الأصوليين المسيحيين لا المسيحيين عموماً ، وأن العالم سيكون كله للمسيح عندما يكون عدد الأصوليين مساوياً لعدد سكان العالم .

وتقدم موسوعة العالم المسيحي الإحصاءات الآتية :

الإنجيليون الأصوليون في العالم بمختلف تياراتهم :

٢٤٠١٥٧١٠٠ نسمة عام ١٩٨٥ ومن المنتظر أن يصل عددهم إلى :

٣٤٣٥٥٤٣١٠ نسمة عام ٢٠٠٠ .

٧٤٧٢٨٠٠٠ نسمة عام ١٩٨٥ ، ومن المنتظر أن يصل عددهم إلى :

٩٣٥١٥٠٠٠ نسمة عام ٢٠٠٠ ، ويساوي ذلك ٤٠٪ من المجتمع الأمريكي .

وتقدر موسوعة « عملية العالم » المتشددين من هؤلاء في أمريكا بعشرة ملايين نسمة [١] .

وقد ارتبطت هذه الأصولية بالتراث اليهودي الذي كان كامناً في الكتاب المقدس ، في العهد القديم ، وفي سفر رؤيا يوحنا في العهد الجديد ، واستمر هذا التراث يتفاعل لمدة مائة وخمسين عاماً بعد وصول المهاجرين الأوائل إلى الأرض الجديدة « أمريكا » ، وفي بداية نشأة أمريكا قامت المؤسسات التعليمية على أسس التراث اليهودي ، وهي تلك المؤسسات التي أنشأها الأطهار ، ومنها الجامعات الأمريكية الكبرى وعلى رأسها جامعة هرفارد ، والتي أنشئت عام ١٦٣٦ لتصبح بذلك أقدم

---

(١) انظر كتاب « المسيحية والحروب » للدكتور رفيق حبيب نشر يافا للدراسات والأبحاث عام ١٩٩١(ص ١٨٥).

جامعة أمريكية ، ثم تحولت هذه الجامعات إلى العلمانية ، ولكن أمريكا المعاصرة بدأت تعود للبحث عن جذورها العبرية في محاولة للبحث عن هوية خاصة ، وظل التيار الأصولي الوليد قابعاً - كما يقول الدكتور رفيق حبيب- حتى بدأت حركته تظهر واضحة في منتصف الأربعينيات من القرن الحالي على يد الواعظ الأشهر بلي جراهام ، وهنا في منتصف الستينيات وبعد عام ١٩٦٧ على وجه الخصوص بدأت الأصولية السياسية تتفجر مرة أخرى ، لتصل إلى ذروتها في الثمانينيات وعلى يد الرئيس الأمريكي ريجان بخاصة .

وقبل ذلك بقليل كما يقول الدكتور رفيق حبيب : (استطاعت الأصولية أن تحرز نصراً من خلال اقترابها من البيت الأبيض ، وبخاصة عندما أصبح الواعظ بلي جراهام مستشاراً للرئيس جونسون ، ثم نيكسون، ومنذ ذلك التاريخ تعلمت الحركة الأصولية كيف تصل إلى أهدافها ، وبدأت تقدم رجالها ، رموزاً وقيادات ، في داخل النظام الأمريكي ، وعندما وصل جيمي كارتر إلى البيت الأبيض أصبح أول رئيس يؤكد أنه « مولود ثانية »

أي أنه مسيحي أصبح يهودياً ملتزماً) ، ومن هنا (بدأت الأصولية تأخذ طريقها ، وعندما حققت بعض النجاح ، في سبعينات القرن العشرين دخلت في مرحلة جديدة ، وهي مرحلة التوسع في السيطرة الأصولية على الدولة الأمريكية ، والذي ظهر بشكل واضح في الثمانينيات .. وهكذا أصبح التيار الأصولي من القوى الأولى في صنع القرار السياسي الأمريكي)[١] .

ويشرح « هل لندسي » في كتابه « الراحل كوكب الأرض العظيم » كيف ستحدث الحرب التي تنبأ بها الكتاب المقدس ، والتي تلتف حولها الأصولية المسيحية الصهيونية اليوم ، وقد بدأ نشر هذا الكتاب عام ١٩٧٠ في طبعات متوالية على مدى عشرين عاماً وصلت مبيعاته إلى أكثر من ١٨ مليون نسخة ، والكتاب كما يقول رفيق حبيب : (ليس في العقيدة فقط ولكنه يشرح أيضاً ما سيحدث في المستقبل ، طبقاً لنبوءات الكتاب المقدس ، والنبوءة في مجملها تدور حول تحديد قوى الشر وقوى الخير في العالم ، وكيف سيبدأ العَدُّ التنازلي لنهاية العالم

---

(١) انظر كتاب « المسيحية والحروب » للدكتور رفيق حبيب نشر يافا للدراسات والأبحاث عام ١٩٩١ (ص ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥) .

من خلال تجمع اليهود من الشتات في فلسطين ، ثم تتجمع قوى الخير لتحارب قوى الشر في معركة هر مجدون - وهي موقع في فلسطين - وفي هذه المعركة تنتصر قوى الخير على قوى الشر ، ويأتي المسيح ليحكم العالم أجمع ، حكماً أرضياً فعلياً لمدة ألف سنة كاملة ، هي الألف سنة السعيدة ، ولندسي يرى أن العد التنازلي للنهاية قد بدأ ، وأن هذا الجيل المعاصر سوف يشهد قيام الملك الألفي ، ويذهب الكتاب إلى أن انتصار إسرائيل في حرب ١٩٦٧ كان جزءاً من الخطة الإلهية لانتصار قوى الخير ، وقيام إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات ، ليتجمع فيها كل شعب الله المختار ، حتى عندما تقوم الحرب الأخيرة ويموت فيها جزء كبير من اليهود في الحرب يأتي المسيح ، ويعطي لشعبه المختار (اليهود) فرصة أخيرة حتى يقبلوه ، كمخلص للعالم ، فاليهود كشعب الله المختار ضل الطريق ، ولكن الله لا يتخلى عن شعبه المختار ،لذلك تظل له مكانة خاصة ، تظل له فرصة أخرى ، فكل قوى الشر تتحطم ، في حرب هرمجدون ، ويذهب الأشرار إلى الجحيم) [١] .

(١) « المسيحية والحرب» لرفيق حبيب (ص ٤٢-٤٣).

يقول رفيق حبيب : « لقد قرأ ريجان كتاب لندسي ، ومن الواضح أنه تأثر به تأثراً شديداً ، حيث قامت سياسته على مفاهيم وعقائد دينية ، وإن القصص التي ترددت حول لجوء نانسي ريجان لاستشارة العرافين كما قرأ الناس في الصحافة ليست بهذا المعنى الخرافي الذي فهم منها ، فالحقيقة أن نانسي كانت تستشير إحدى المؤمنات الأصوليات ، والتي لها القدرة - حسب اعتقاد نانسي - على تلقي الرؤى من الله ، وهي استشارة دينية ، تهدف لمعرفة ما يجب أن يفعله الرئيس ، حسب إرادة الله ، ومشيئته ، ولعله من الطريف أنه في الوقت الذي ظهر فيه خبر في الصحافة يقول : « إن أحد سياسيي البيت الأبيض كشف في مذكراته أن نانسي ريجان كانت تستشير عرافة ، في الوقت الذي كانت فيه هذه العرافة - والتي ليست إلا مبشرة أصولية - تلقي عظاتها وتقيم حفلاتها التعبدية داخل أحد الفنادق الكبرى في قلب القاهرة » على حد قول رفيق حبيب .

(ولقد كان التفسير الأصولي لحركة الوصول إلى معركة هرمجدون قائماً على تصور أن روسيا هي -

حسب تعبير ريجان نفسه - التي ستقود كل قوى الشر ، وتزحف حتى منابع النفط في الشرق ، وتصل إلى فلسطين متحالفة مع قوى الشر ، وهناك تقابل جيوش أمريكا حامية شعب الله المختار ، والتي تقود قوى الخير .) وأخذ ريجان (يجهز جيوشه لكي يخوض معركة هرمجدون - على أساس هذا التصور الأصولي - فمن حرب النجوم والكواكب كانت الاستعدادات العسكرية ومليارات الدولارات تمهد الطريق لتصل بأمريكا إلى المعركة التي تمكنها من هزيمة قوى الشر ، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي) ولكن الرئيس السوفيتي السابق ميخائيل جورباتشوف قلب هذا التصور الذي قدمه لندسي ، وتابعه فيه ريجان ، حيث أدى سقوط الاتحاد السوفيتى بيد جورباتشوف إلى اختفاء مصطلح امبراطورية الشر ، وبذلك نشأت أزمة جديدة للفكر الأصولي ، وأعيد قراءة الواقع من جديد ، وظهر التفسير الجديد على مشارف التسعينيات ، حيث ترى الأصولية أن قوى الخير انتصرت ضد الاتحاد السوفيتي في معركة مرحلية ، بدون حرب عسكرية ، وذلك من خلال الصلاة ، ومن خلال العمل

السري التبشيري الذي استمر خلف الستار الحديدي عبر السنوات الطويلة ، وعبر عشرات الهيئات ، وأصبح تصور روسيا كتابع جديد لامبراطورية الخير يعد تأكيداً بأن المسيح قد انتصر في النهاية ولكن لا في المعركة الأخيرة بل في معركة تمهيدية) (١) .

فأين هي المعركة الأخيرة ؟ الجواب واضح : في هرمجدون مع قوى الشر التي هي نحن .

لقد أعلنت فرنسا وإيطاليا في ١٨/ ٣/ ١٩٩٣ أن ظاهرة الصحوة الإسلامية هي الخطر الرئيسي في السنوات المقبلة وأن هذه الظاهرة تستهدف تخريب أوربا والغرب ، وجاء ذلك في تصريحات لكل من وزير الخارجية الفرنسي رولان دوما ، والمتحدث الرسمي باسم الخارجية الفرنسية موريس جودو ، وعلى لسان وزير الداخلية الإيطالية نيكولا مانشيتو في تصريحاته للإذاعة الإيطالية ، وأمام البرلمان الإيطالي (٢) .

ويقول القس الأمريكي الأشهر جيري فالويل: «إن الله

---

(١) « المسيحية والحرب» (ص ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧).

(٢) «جريدة الخليج » (١٩/ ٣/ ١٩٩٣).

أعطى الضفة الغربية لليهود » ، وقد قال ذلك بحضور عدد من الصحفيين الأمريكيين الذين نقلوا عنه قوله أيضاً: « إن الله لم يكرم أمريكا إلا لأنها كريمة تجاه اليهود » وأضاف قائلاً : « أعتقد أننا إذا فشلنا في حماية إسرائيل فلن نعود مهمين في نظر الله !! »[١] .

وتأتي تصريحات حلف الناتو ليحدد ما أصبح واضح التحديد ، وذلك في اجتماعات الحلف في يوليو عام ١٩٩٠ ليضع استراتيچية الحلف بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وتفتت حلف وارسو ، ففي حديث أجرته جريدة نيوزويك بعددها الصادر فى ٢ يوليو ١٩٩٠ مع الوزير الإيطالي السنيور جياني ديميكليس سئل : ما دام الغرب لم يعد يواجه بتهديد عسكري من الكتلة الشرقية فلماذا تحتاج أوربا إلى تلك القوة الضاربة التي يمثلها الحلف قال الوزير الإيطالي : صحيح أن المواجهة مع الشيوعية لم تعد قائمة إلا أن ثمة مواجهة أخرى يمكن أن تحل محلها بين العالم الغربي والعالم الإسلامي[٢] .

---

(١) « جريدة الشرق الأوسط » (١٤/ ١١/ ١٩٨٦).

(٢) « جريدة الأهرام» (١٧/ ٧/ ١٩٩٠) مقال فهمي هويدي .

وتأتي إشارة البدء في حرب هرمجدون من حيث تصر الأصولية المسيحية على إعادة بناء الهيكل مكان المسجد الأقصى ، كرغبة جارفة للوصول إلى لحظة الصدام ، فهدم المسجد الأقصى - إذا حدث - هو إشارة البدء لحرب هرمجدون حسب تصوراتهم للأحداث المقبلة ، ووفقاً لتقدير الدكتور رفيق حبيب [(١)] .

ويبدو أن بعض من لا يزالون يحملون للمسلمين نوعاً من الشفقة التي يوزعون بعضها على الحيوانات يشيرون للمسلمين إلى المخرج من هذا المصير الذي يبيتونه لهم والذي يتمثل في تقديرهم في التغريب كبديل لتلك الحرب الماحقة ، إذ عندما سئل الوزير الإيطالي : كيف يمكن تجنب تلك المواجهة المحتملة ؟ أجاب : أن يصبح النموذج الغربي أكثر جاذبية وقبولاً من جانب الآخرين (نحن) في مختلف أنحاء العالم ، فإذا فشلنا في تعميم ذلك النموذج الغربي فإن العالم سيصبح مكاناً في منتهى الخطورة .

معنى هذا : إما النموذج الغربي وإما الحرب ، ومعناه

---

(١) « المسيحية والحرب » (ص ٥٥).

مرة أخرى : إما النموذج الغربي خضوعاً واستسلاماً بدون حرب ، وإما النموذج الغربي خضوعاً واستسلاماً عن طريق الحرب ، ولا شك أن الأصولية المسيحية الصهيونية تعتقد أن الأمر - حسب النبوءة - لن يكون إلا بالحرب ، والأدق من ذلك أن نقول : الأمران يعملان معاً في انسجام وتكامل : فالبعض يسلم مقدماً للنموذج الغربي ليسهل عملية الحرب التي تنصب على رءوس الباقين من الذين يقاومون هذا النموذج .

يقول الدكتور رفيق حبيب : « ومن نافلة القول أن نؤكد أن المنطقة - الشرق الأوسط - مرشحة دينياً ومن منطلق الأصولية المسيحية الصهيونية كي تكون لا موطن القواعد والجيوش فحسب ، ولكن موطن الحروب ، ومن وجهة النظر الأصولية المسيحية الصهيونية فإن العرب والمسلمين جزء أصيل في مملكة الشر ، لذلك فإن إبادتهم حدث سيأتي بفعل إرادة الله ، وبالنسبة للأصولية المسيحية الصهيونية - وهي المنتشرة الآن - فإن على الأصولي الإعداد لهذه الحرب ، والعمل على تحقيق إبادة مملكة الشر ، في أقرب وقت ، لذلك يجب أن تقوم حرب في

هذه المنطقة ، وذروتها في هرمجدون في فلسطين ، أما بالنسبة للأصولية المسيحية غير الصهيونية - وهي الأصولية التبشيرية الإنجيلية التي سبق الإشارة إليها - فإن العالم العربي والعالم الإسلامي - وهو الحصن الممتنع على التبشير - يجب أن يسقط أمام حملات التبشير حتى يصبح العالم كله للمسيح »(١) .

وتحاول الأصولية المسيحية - بناء على هذه التصورات - تحديد تاريخ نهائي للعالم، وما يذاع بين وقت وآخر حول هذا التحديد ينسب في الحقيقة إلى هذه الأصولية لا إلى محض ظهور دجالين مشعوذين كما يوحي بذلك إعلامنا العربي ، جهلاً أو بقصد التعمية على هذا النشاط الأصولي المسيحي فمنذ بداية القرن العشرين ومع انعقاد مؤتمر أدنبرة في عام ١٩١٠ - طبقاً لدراسة الدكتور رفيق حبيب - رفع شعار (العلام كله للمسيح في هذا الجيل) ، ولكن النبوءة لم تتحقق فدارت الدائرة مرة أخرى ليظهر شعار (الموعد الأخير ..) ويصبح الهدف الأصولي الوصول إلى نهاية العالم أجمع مع حلول عام ٢٠٠٠م ،

---

(١) « المسيحية والحرب» (ص ٥٧).

ويؤمن معظم الألفيين بأن نهاية العالم على الأبواب ، والبعض ينتظرها في غضون سنوات ، والكثيرون يعتقدون أنها سوف تتحقق خلال حياتهم ، وبالتحديد عندما يأتي المسيح ليحكم العالم في الجيل الحالي، وقدر لذلك عام ١٩٨٨ ، فلما لم يحدث شيء حصل تمديد المدة إلى عام ١٩٨٩ ، ثم قيل : عام ١٩٩٢ ، فلما لم يتحقق شيء من ذلك قالوا عام ٢٠٠٠ المنتظر [١] .

ويرى المحللون ظاهرة الأصولية المسيحية الأمريكية في النموذج الأمريكي في أفلام رعاة البقر ، حيث تظهر شخصية المبشر : عنصراً أساسياً في الفيلم ، مثل شخصية المأمور والشرير ، والرجل الطيب ، وحيث تظهر الكنيسة كمبنى صغير ملازم لبيوت القرية الصغيرة في ذلك الزمان ، ويرجعون ذلك إلى أن مجموعة كبيرة من المسيحيين الأصوليين الذين عملوا كرجال دين جاءوا مع المهاجرين ، ومع تلك البداية ظهر الواعظ المتجول ، ثم أخيراً ظهرت البرامج الدينية في الراديو ، وصار لكل برنامج واعظ مشهور ، ولكل برنامج جمهور ، وعندما

(١) « المسيحية والحرب» (ص ١٩٥- ١٩٦).

ظهر التليفزيون تعددت البرامج ، ولكل منها واعظ أو أكثر ، وأصبح عدد مشاهدي الواعظ يتزايد بالملايين ، وتجاوز البرنامج قدرة استيعاب الكنيسة ذاتها ، وأصبحت البرامج وكأنها كنائس أو بيع ، وأصبح توجيه الفكر الديني الأمريكي لا ينبع من الكنائس وحدها بل ينبع أيضاً من كنائس التليفزيون ، كما يقال [1] .

ويلاحظ المراقبون أن المؤسسات التبشيرية الأصولية في أمريكا وحول العالم ليست مؤسسات كنسية بالمعنى الضيق ، أي أنها لا تتبع كنائس أو حتى طوائف محددة بقدر ما هي مؤسسات موازية للكنيسة تنشأ بجهود فردية ، وتقوم بجمع التبرعات ، وتوسع نطاق نشاطها ، وهذه الطبيعة تمكنها من العمل بدون حواجز عقدية أو مؤسساتية ، ولتصبح في النهاية حركة عابرة للطوائف ، وإن كانت تنتمي إلى عباءة البروتستانتية بصفة عامة ، وتتكون الحركة من شبكة من الهيئات ، ثم يأتي بعد ذلك دور المؤتمرات الدولية ، وفيها تتجمع هذه الهيئات لكي تضع استراتيجية موحدة ، بل يصل الأمر بهذه

---

(١) « المسيحية والحرب » (ص ١٤١- ١٤٢).

الاستراتيجية إلى حد الاستفادة من الأدبيات الإسلامية التي تنهج في بعض البيئات - في شيكاغو على سبيل المثال - منهج التركيز على القيم المشتركة مع المسيحية - إذ كما يعلق أحد الأصوليين المسيحيين الأمريكيين على هذه الخطب بأنها تتوافق مع توجهات المسيحية ، (وهو بذلك خطاب تبشيري يساعد في الوصول إلى مؤمنين جدد !!) هكذا ! ثم يشرح الأصولي الأمريكي بعد ذلك كيف يمكن للمسيحيين أن يبنوا على ذلك رسالتهم المتميزة [١] ، ومن الملاحظ أن الأصولية المسيحية تحرص هنا على التميز بعد أن تستفيد من عرض الآخرين للمشترك ، ثم ترفض الآخر ، وتعد العدة للحرب .

وتحاول الأصولية المسيحية في أمريكا أن تحسم صراعها مع العلمانية هناك ، وهو صراع يدور حول التربية والتعليم والإعلام ، ففي التلفزيون عشرات القنوات العلمانية والإباحية وهناك أيضاً قنوات دينية

---

(٢) « المسيحية والحرب » (ص ١٤٨) ، ونحن نقدم هذه الملاحظة هدية لبعض المفكرين المسلمين الذين يقعون في هذا الفخ من خلال دعوتهم إلى مؤتمرات الحوار الإسلامي المسيحي الذي يتبنى القيم المشتركة ، كما نهديها بوجه عام إلى من يعرضون الإسلام لا من خلال التميز ولكن من خلال المشترك .

وشديدة الأصولية أو حتى الغيبية والخرافية .

إن النظام في أمريكا - كما يقول الدكتور رفيق حبيب - : لم يصبح أصولياً بعد، ولكنه لم يعد علمانياً أيضاً ، فرئيس الولايات المتحدة أصبح من أنصار الأصولية ، منذ وصول چيمي كارتر ، إلى البيت الأبيض، مروراً برونالد ريجان ، وحتى چورچ بوش ، وبرغم أن الحركة الأصولية لا تناصر الليبرالية - في أمريكا - إلا أنها عرفت طريقها إلى الحكم هناك من خلال هذه الديمقراطية، وكان العنصر الحاسم في هذا العمل هو أصوات الناخبين ، وعندما وجد الأصوليون أن چيمي كارتر لم يف بوعوده لهم وبخاصة بالنسبة لموضوع إقرار الصلاة في المدارس ، ومنع الإجهاض تحول الأصوليون عنه وأسقطوه في انتخابات ١٩٨٠ ، ليأتوا برونالد ريجان كرئيس أكثر أصولية ، بل هو صهيوني متشدد - على حد تعبير الدكتور رفيق حبيب - ولذلك انتخب رونالد ريجان لدورتين ، لأنه كان أكثر التصاقاً بأهداف الحركة الأصولية ، ومن بعده أعطى الأصوليون أصواتهم إلى چورچ بوش نائبه الذي حظي بتأييد ريجان وقيادات

الأصــوليـة ، لمـا عـرف عنـه من إيمان أصــولي ، وهكذا استطاعت الحركة التأثير على انتخابات الرئاسة .

يقـول رفيق حـبيب : « التـيار الأصـولي المسيـحي هو بحق التيار الثـاني في أمريكا من حيث القوة ، وبعـد التيار العلماني مباشرة خاصة منذ بداية الثمانينيات » (١) .

وبعـد ظهـور عـقـيـدة المـلك الألفي - في أحـضـان الأصـوليـة المسيـحـيـة الصـهـيـونيـة الأمريكيـة - أصـبح المسيـحيـون في أمريكا واليهـود معـاً في مصيـر مشـترك ، فرجاء كل منهـما يتحقق من خـلال الآخر ، والأغرب من ذلك - كمـا يقول الدكـتور رفيق حـبيب - : « أن اليـهود أصبحوا طليعة الجماعة المسيحية المؤمنة برغم عدم إيمانهم بأنهم شـعب الله المخـتار » ، وتسـيـر المسيـرة - في تقـدير الدكتـور رفيق حبـيب - بالرغم من امتـلائها بالمتناقـضات (فالأصولي يؤيد اليهود ويساعدهم ، ولكن عقيدته تقول : إن تجمع اليهـود يمهد لحرب سوف يموت فيـها ثمانون في المائة من اليهود ، أي أن هذه الحرب ، هي عـقاب لليهود) ، ولا ثواب لهم فـيــهـا إلا إن تقـبلوا المسيـح بعـد نزوله

---

(١) « المسيحية والحرب» (ص ٣٧، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٧٣، ٨٦).

(واليهود يخشون من سيطرة الأصولية على حكم أمريكا لأن ذلك سوف يتبعه نمو الهوية المسيحية الأمريكية ، وبالتالي يهدد بتجدد الاتجاهات المعادية لليهود) [1] .

إنه حين صافح كلينتون - الرئيس الحالي للولايات المتحدة الأمريكية - نتنياهو في زيارته لإسرائيل وغزة في أوائل ديسمبر ١٩٩٨ أراد أن يطمئنه إلى السياسة الأمريكية

تجاه إسرائيل فقال له عن القس الذي تلقى اعترافاته عن علاقته الغرامية بمونيكا إنه - أي القس - قال له : « إن الله سيغفر لك كل ذنوبك بما فيها علاقتك مع مونيكا ، ولكن الله لن يغفر لك أبداً إذا نسيت إسرائيل » [2] .

إنه من الخداع الصارخ محاولة البعض أن يقدم لنا الصهيونية في فلسطين تارة بأنها حركة تحريرية ، وتارة بأنها مطلب شعب يستحق الاستقلال والأرض ، وتارة بأنها إشعاع حضاري أنشئ بين شعوب متخلفة ليأخذ بيدها نحو التقدم . وفي كل الأحوال ألحوا على ذاكرة المسلم بأن ينسى أنها حركة عدوانية دينية ، وأنها ترتبط

(١) « المسيحية والحرب» (ص ١١٠-١١٣).
(٢) «جريدة الخليج » (٢٣/ ١٢/ ١٩٩٨) (ص ١٢) مقال فوزية رشيد.

أساساً بالمسيحية وبالحرب الصليبية .

إننا نواجـه هنا الحقـيقة المخـبأة بأن الفكـر الأصولي الإنجيلي الـصهيـوني تحالف مع إسـرائيل تحقـيقاً لـنبوءات يجدها الطرفان في الكتاب المقدس لديهم ، بفرعيه القديم والجديد .

وقد كان لهذا الفكر أثر كبير في اندفاع رجال الدين والرؤساء الأمـريكيين خصوصاً إلى دعم الدولة اليـهودية بغيـر حدود ، ذلك أن المسيـحيين عـموماً يؤمنون بأسـفار العـهـد القـديم ، وينفـرد البـروتسـتـانت مـنهم بمزيد من التقديس لحرفية ما ورد بهذا الكتاب ، مما جعلهم يعطفون على قيام دولة إسرائيل ، ويعتبرون قيامها ذاك تنفيذاً لإرادة إلهية، تقول دائرة المعارف البريطانية : « إن الاهتمام بعودة اليهود إلى فلسطين قد بقي حياً في الأذهان بفعل النصارى المتدينين ، وعلى الأخص في بريطانيا أكثـر من فعل اليهود أنفسهم »[1] .

ويقول الزعيم اليهودي وايزمان : « إن من الأسباب

---

(٢) انظر كتاب « أمريكا وإسرائيل » للدكتور معروف الدواليبي بمقدمة الأستاذ محمد علي دولة نشر دار القلم بدمشق عام ١٩٩٠ (ص ١٧) .

الرئيسية لفوز اليهود بوعد بلفور هو شعور الشعب البريطاني المتأثر بالتوراة ، وتغنيه بالشوق الممض لأرض التوراة » ، وقد أشار وايزمان إلى هذا الأمر في حديثه عن بعض الشخصيات السياسية البريطانية التي كان لها دور بارز في تأييد اليهود مثل بلفور ولويد چورج ، وتشرشل، فقد وصفهم بأنهم (كانوا من المتدينين المؤمنين بالتوراة ، وقالوا عن العودة اليهودية إلى فلسطين أنها أمر واقعي ، ونحن الصهاينة نمثل لهم تراثاً يكنون له أعظم تقدير) .

لقد كان التأثر بالتوراة دافعاً أساسياً لبلفور صاحب الوعد المشئوم ليقدم وعده : تقول عنه مؤرخة حياته بلانش دوجديل : « لقد تأثر منذ نعومة أظفاره بدراسة التوراة في الكنائس ، وكان كلما اشتد عوده زاد إعجابه بالفلسفة اليهودية ! وكان دائماً يتحدث باهتمام عن ذلك ، وكانت فكرته الأساسية وحضارتها مدينتان بالشيء الكثير لليهودية » ، ويقول عنه وايزمان : « أتظنون أن لورد بلفور كان يحابينا عندما منحنا الوعد بإنشاء وطن قومي لنا في فلسطين ؟ كلا لقد كان الرجل يستجيب لعاطفة دينية

يتجاوب بها مع تعاليم العهد القديم » .

ويقـــول لويد چورج رئيس الوزارة الـبـريطانيـــة التي منحت اليهـود وعد بلفور : « نشأت في مـدرسة تعلمت فيـها تاريخ اليهـود أكثر مـن تاريخ بلادي ، وبمقدوري أن أذكـر أســـمـاء جــمـيع مـلوك بني إسـرائـيل دون ملوك انجلترا ! »، ولقد كان السياسي الـبريطاني المشهور ونستون تشرشل يعـتبـر نفسه صـهيونيـاً أصيلاً ، ويـصلي بحرارة لتحقيق أماني الصهيونية العظيمة ! !

ولقد سار الفيلسوف الفرنسي الملحد چان بول سارتر في مظاهرات باريس قبل حرب ١٩٦٧ تحت لافتات كتب عليها « قاتلوا المسلمين » فالتهب الحماس الصليبي الغربي وتبرع الفـرنسيون آنذاك بألـف مليون فرنك خـلال أربعة أيام فقط .

فإذا توجهنـا إلى الشعب الأمريكي وجدنا أكـثريته من المسيـحيين البروتستـانت ، وهؤلاء - خصوصـاً الإنجيليين وأتبـاع مـذهـب العـصـمـة - يؤمنون بنـبـوءات التـوراة المزعومـة، ويستخدمـون هذه النبوءات لتبـرير وجود دولة اليهود في فلسطين ، أرض الشعب اليهودي قديماً ! ! ذلك

الشعب الذي يصفونه بأنه شعب الله .

وتأييداً لاستيطان اليهود بفلسطين عقد رجال الدين المسيحي الأمريكان مؤتمراً في عام ١٩٤٥ ، وتقدم فيه خمسة آلاف قسيس بمذكرة للرئيس الأمريكي ترومان يطالبونه بفتح أبواب فلسطين لليهود بدون قيد أو شرط .

يقول القس الأمريكي الشهير جيري فالويل والصديق الشخصي للرئيس ريجان ومناحم بيجن : « لا أعتقد أن في وسع أمريكا أن تدير ظهرها لشعب إسرائيل وتبقى في عالم الوجود ! والرب يتعامل مع الشعوب بقدر ما تتعامل هذه الشعوب مع اليهود » (١) .

وهو يقول عن انتصار إسرائيل عام ١٩٦٧ : « ما كان لإسرائيل أن تنتصر لولا تدخل الله » (٢) .

ثم ذهب هذا القس إلى إسرائيل حيث غرسوا له بعض الأشجار في أرض عرفت فيما بعد باسم غابة جيري فالويل .. والتقطت له صور هناك وهو راكع .. وطلب من بيجن أن يذهب إلى المستوطنات الجديدة وأن

---

(١) المصدر السابق » من (ص ١٧ - ٢٠).

(٢) « جريدة الشرق الأوسط » (١٤/١١/١٨٦) (ص ٦) .

يعلن : « إن الله أعطى الضفة الغربية لليهود » ، وقد فعل ذلك بحضور حراسه وعدد من الصحفيين الأمريكيين الذين سجلوا له قوله : « إن الله لم يكرم أمريكا إلا لأنها كريمة تجاه اليهود » وأضاف قائلاً : « إننا إذا فشلنا في حماية اليهود فلن نعود مهمين في نظر الله »[1].

ويقول القس الأمريكي مايك إيفانس في ولاية تكساس : « إن تخلي إسرائيل عن الضفة الغربية وغيرها من الأرض المحتلة بعد حرب ١٩٦٧ سوف يجر إلى دمار إسرائيل ، ومن بعدها الولايات المتحدة ، إن الرب أمرني بوضوح إنتاج هذا البرنامج التلفزيوني الخاص بدولة إسرائيل » وبرنامج القس المشار إليه عنوانه : «إسرائيل مفتاح أمريكا للبقاء » ، وقد أذيع عام ١٩٨٣ ، ولمدة ساعة بالتليفزيون .

ولقد دأب عدد من القساوسة من أمثال چيم باركر ، وكينيث كوبلاند ، وروبرتس، وسواغارت ، وغيرهم على الإعلان عن قدسية إسرائيل استناداً إلى ما ورد في الكتاب المقدس عندهم ، وذلك في الإذاعات الصوتية والمرئية .

---

(١) انظر معروف الدواليبي في كتابه « أمريكا وإسرائيل» طبعة ١٩٩٠ (ص ٤٨).

ويقول القس كرال ما كانتاير في وصفه لحرب ١٩٦٧ :
«على من يؤمن منا بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله أن يهب الآن لمساعدة اليهود ، فما أعطاهم الله يحق لهم أن يمتلكوه ، ولا يجوز أن يقايضوا على الأراضي التي كسبوها »[1] .

ولقد كانت خلفية ترومان المعمدانية وتربيته الدينية تركزان على عودة اليهود إلى صهيون ، وقصة حياته الشخصية حافلة بالاقتباسات والإشارات التوراتية ، وتشير إلى ميله للإسهاب في ذكر التعاليم اليهودية المسيحية ، وعندما قدم إيدي جاكوبسون ترومان إلى عدد من الحاضرين واصفاً إياه بأنه (الرجل الذي ساعد على خلق إسرائيل) رد ترومان مستشهداً بفكرة الصهيونية الدائمة عن النفي والبحث فقال : «ماذا تعني بقولك : ساعد على خلق ؟ إنني قورش ، إنني قورش » ، وقورش هو الذي أعاد اليهود في تاريخهم القديم من منفاهم في بابل إلى القدس .

---

(١) انظر كتاب « من يجرؤ على الكلام» لبول فندلي نشر بيروت الطبعة الخامسة من (ص ٣٩٤-٤١٨).

ويقول كارتر : « لقد اعتبرت أن إقامة وطن لليهود هنا هو أمر من أمر الله ، وهذه المعتقدات الخلقية والدينية هي التي كانت أساس بقاء التزامي بسلامة إسرائيل ثابتاً لا يمكن أن يهتز » .

ويقول ريجان مخاطباً اليهود : « أعود إلى أنبيائكم الأقدمين في العهد القديم وعلامات اقتراب مجدون - وهي معركة فاصلة بين قوى الخير والشر في الفكر الصهيوني - فأجدني أتساءل : هل نحن الجيل الذي سيشهد تلك الواقعة .. إن هذه النبوءات تصف الأزمان التي نعيشها بالتأكيد » .

ويقول برينسكي مستشار كارتر للأمن القومي : «إنه على العرب أن يفهموا أن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية لا يمكن أن تكون متوازنة مع العلاقات الأمريكية العربية، لأن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية علاقات حميمة مبنية على التراث التاريخي والروحي ، بينما العلاقات الأمريكية العربية لا تحتوي أياً من هذه العوامل » [1] .

(١) نقلاً من كتاب « أمريكا وإسرائيل» للدكتور معروف الدواليبي ومقدمته لمحمد علي دوة (ص ٢٠-٢٤).

ويقول ريتشارد نيكسون الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية : « إن علينا أن ننشر الفضيلة - حسب زعمه - في العالم وفقاً لمعتقداتنا الدينية »[١] .

وهذا كلينتون الرئيس الأمريكي ينقل لتنياهو قول القس له : « إن الله سيغفر لك كل ذنوبك بما فيها علاقتك مع مونيكا ، ولكن الله لن يغفر لك أبداً إذا نسيت إسرائيل »[٢] .

وعلى هذا النحو كان الشعب ورجال السياسة في أمريكا متأثرين بأفكارهم الدينية تجاه مناصرة اليهود ومعاداة المسلمين ، خلافاً لما يظنه البعض منا أن هؤلاء قد تخلصوا من دينهم وما عادوا يقيمون لغير مصالحهم المادية وزناً ، فعلاوة على ما تطور إليه الوضع هناك أخيراً من صحوة مسيحية عارمة ، يجب أن نتذكر أن ما هم فيه من تدين أشبه بمذهب المرجئة عند بعض الفرق الإسلامية : في الأخذ بمقولة أنه لا يضر مع الإيمان معصية ، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة ، والمخلص عندهم دائماً مستعد لمحو

(١) كتاب « الفرصة السانحة» لريتشارد نيكسون (ص ٢٣).

(٢) مقال فوزية رزشيد بجريدة الخليج (٢٣/ ١٢/ ١٩٩٨).

الخطايا أولاً بأول ، ما توسط لذلك كاهن أو قسيس في صلاة أو اعتراف .

كذلك يتبين أن نظرية المصلحة التي تحكم السياسة والسياسيين لا غبار عليها إذا وسعنا مفهوم المصلحة ، بالنظر إليها وفق عقيدة صاحبها ، فهي التي تنشئ هذه المصلحة وتلونها وتحددها وتوجهها على المدى البعيد .

وحق لنا أن نقول بعد ذلك إنه في سياق التزييف التاريخي الذي نخضع له يأتي التركيز على اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكة وأنه هو السبب في جر الأمريكي إلى معاداة العرب ، ولتنحرف جهودنا بعد ذلك إلى مشروع فاشل مقدماً بمحاولة إنشاء لوبي عربي ! ! ، إذ يبدو لنا أن الأمريكي هو لوبي نفسه وأن لوبيه يتكون في داخله منذ قرون ، بعقيدة توراتية مسيحية أصلاً ! !

وقد نشرت صحيفة « هامير » المحلية في تل أبيب عينة موجزة للمجازر البشرية التي ترتكبها الصهيونية في المناطق العربية التي تستولي عليها ، وذكرت أن مجازر عام ١٩٤٨ كانت الأكثر قذارة في كل المجازر التي ارتكبتها

إسرائيل ضد فلسطين ، وصرحت بأن كل معركة انتهت بمجزرة ، وكان ثمن احتلال كل قرية عربية تنفيذ أعمال قتل واغتصاب وجرائم حرب ، وفي هذا يقول أرييه يتسحاقي الذي كان يعمل في أرشيف الجيش الإسرائيلي ، ثم صار يعمل محاضراً في جامعة « بارايلان » : إنه قرأ جميع الوثائق الموجودة في الجيش الإسرائيلي وجمع كل الوثائق المتعلقة بالمذابح، ويؤكد أنه في كل قرية احتلتها إسرائيل تقريباً تم تنفيذ أعمال تعتبر جرائم حرب من القتل والاغتصاب والذبح ، ويقول : إنه على يقين من أن الأمور ستطفو على السطح في النهاية ، ويتساءل : كيف سنعيش معها [١]، ونحن نطمئنه : إن هذا لن يحدث!!!.

ويطمع قادة اليهود في استقطاب الوجه العربي العلماني إلى جانبهم للتخلص من الخطر الإسلامي المشترك، ويبدو أن هذا هو ما يحدث جزئياً في الوقت الحالي من سلسلة التنازلات العربية ، وجمعيات الحوار السلامية ، ومقدمة ذلك جاءت في الكلمة التي وجهها قائد يهودي كبير إلى قائد عربي وقع في أيدي اليهود عام

---

(١) « جريدة الأهرام » (٢٥/ ٥/ ١٩٩٢) (ص ٥) .

١٩٤٨ عن المقاتلين من المتطوعين المسلمين إذ يقول : « إنهم يطلبون الموت بشغف مجنون ويندفعون إليه كأنهم الشياطين » ثم يفسر السبب في ذلك بأنه « الدين الإسلامي » ثم يقول : « إن هؤلاء لم يدرسوا الأمور دراسة واعية تفتح عيونهم على طريق الحياة ، وهم خطر ليس علينا وحدنا ، بل خطر عليكم أنتم أيضاً ،إذ أن أوضاع بلادكم لن تستقر حتى يزول هؤلاء ، وتنقطع صرخاتهم المنادية بالجهاد والاستشهاد في سبيل الله ، هذا المنطق الذي يخالف رقي القرن العشرين ، قرن العلم ، وهيئة الأمم المتحدة ، وحقوق الإنسان » [١] .

يجردوننا من الحافز الديني لكي يكون خالصاً لهم : فلقد طبعت إسرائيل في حرب عام ١٩٦٧ بطاقات معايدات كتب عليها « هزيمة الهلال » بيعت بالملايين ، وعندما دخل الصهاينة القدس عام ١٩٦٧ أخذوا يهتفون مع موشى دايان وزير حربيتهم : هذا يوم بيوم خيبر ، يالثارات خيبر ، وتابعوا هتافهم : حطوا المشمش ع التفاح دين محمد ولى وراح ، وهتفوا محمد مات ، خلف بنات

(١) « مجلة المسلمون » ، العدد الأول من المجلد الثامن ، شهر تموز عام ١٩٦٣ .

ويقول الدكتور محمد مورو في جريدة العرب الصادرة بلندن بعد الضربة التي وجهت للعراق من أمريكا وانجلترا في رمضان ١٤١٩ متسائلاً عن السبب الحقيقي وراءها ، وبعد أن فند جملة من الأسباب التي تتداولها الأقلام :

إننا أمام حرب صليبية علينا أن نواجه أنفسنا بها ولو كانت مرة شديدة المرارة ، وحتى لو كان ثمن الاعتراف بها باهظاً ، بدلاً من أن نخدع أنفسنا ونسير وراء الوهم، فندفع ثمناً أفدح مادياً وأقسى معنوياً .

إن المسلمين سوف يتعرضون لعدوان غربي أمريكي صهيوني سواء واجهناهم ، أو استسلمنا لهم ، أو حتى قبلنا العتبات والأقدام ، ومن الأفضل أن ندفع الثمن واثقين وواعين مع الاحتفاظ بكرامتنا بدلاً من أن ندفعه - أيضاً - راكعين مهدوري الكرامة غائبي الوعي .

إن الحملة الصليبية الأولى كانت عام ١٠٩٨ واستمرت مائتي عام ، ثم رحلت ، والثانية بدأت عام ١٧٩٨ وهي رحلة الاستعمار التي انتهت بحرب تحرير وطنية وحركات مناهضة ، أما الحملة الثالثة والتي بدأت

بدخول القوات الأمريكية والغربية إلى الخليج عام ١٩٩٠ (١) ، واستمرت حتى الآن فإنها تحمل سمات محددة بزعم حماية الجيران ، وحماية المصالح الحيوية ، وغيرها من المصطلحات ، وسوف تمارس عدوانها علينا بوسائل أكثر تقدماً ، وميزان القوى مختل تماماً لصالح الغرب ، في هذه الحملة ، والعدوان الأخير على العراق كان أحد تجليات تلك الحملة الصليبية ، ولا يعني هذا أنها سوف تقتصر على العراق ، بل غدا بالضرورة سوف تطول سوريا ، ثم إيران ، ثم مصر ، وليبيا والسودان .. إلخ وتستهدف أمتنا بالكامل.

ولقد مهر الجندي الأمريكي هذه الحرب الصليبية بتوقيعه فيما نقلته وكالات الأنباء بالصوت والصورة أن أحد الطيارين كتب فوق الصاروخ الذي حملته طائرته والذي ألقاه على شعب العراق « هذه هدية رمضان » وهكذا كشف هذا الطيار بصدق وبساطة - كما يقول الدكتور محمد مورو - عما حاول كلينتون أن يخفيه : أنها الحرب الصليبية ، وهذه الحرب الصليبية لا تحتاج

---

(١) نختلف مع الكاتب في هذه النقطة حيث ينبغي أن تحدد الحملة الثالثة بقيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ .

لسبب حقيقي أو مزيف ، بل تحتاج فقط إلى ذرائع ، وحقيقة أننا أمام حرب صليبية أمر لا ينبغي أن يغيب عن بالنا ، ذلك لأنه إن غاب عن بالنا فسوف نبحث بلا طائل عن سبب لهذا التصرف الغربي أو ذاك ، فلا نجد ، وبالتالي لا يمكن أن نفهم سياسة الغرب نحونا وبالتالي أيضاً لا يمكن رسم سياسة صحيحة تجاه الغرب والعالم ، والثمن سوف يكون فادحاً .

ولم يذهب الدكتور مورو بعيداً فلقد كان الثمن فادحاً وسوف يكون ، بدءاً من الضربات التي وجهها الغرب لكل من محمد علي ، والشريف حسين ، وسعد زغلول ، وفاروق ، وجمال عبد الناصر ، وأنور السادات ، وصدام حسين ، ولقد أبدى هؤلاء جميعاً في فترة من نفوذهم رغبة أصيلة صادقة في التعاون مع الغرب ، بل أبدى بعضهم استعداده الكامل لكي يكون شرطي المنطقة له، أو ليضمن مصالحه ضماناً كاملاً ، فلم يعد منهم بغير خفي حنين وضربة فوق الرأس والقلب وخراباً للديار ، وما ذلك إلا لأن الفكر السياسي لهؤلاء جميعاً كان يتنكر تماماً لتفسير عداء الغرب لنا تفسيراً دينياً ، حتى جاء

الطيـار الأمريكي مندوب كلينتـون ليكتبـها علـى صاروخ شديد الصراخ علهم يـسمعون ، علهم يسمـعون لصوت الصـاروخ الأمـريكـي، ويحـررون عـقـولهم من رواد العلمانـية الذين لا يفتـقدون تفسـيراً آخـر ، من نحو هذا تصـرف أحمق لجندي مـفرد ، أو مـا شابه ، وهو قـول لا تنفـتح له غيـر صدور سـاذجـة أو متـآمرة ، فـالجندي في المعركة لا يسمح له بشيء من الهزل ، أو بأن يتحرك بعيداً عن عقـيدة قتاليـة تم تزويده بها طوال ساعـات التدريب ، وهو على أية حـال - في هذه الحال - يعـبر تعبـيراً صـادقاً عن حـال شعب يواصل تاريخـه ، وبلغ عدد المنتـمين فـيه للعقـيدة الأصوليـة المسيحيـة الصهيـونية أكثـر من ثمانين مليون شخص ، على رأسهم رؤساء الجـمهورية من أمثال كارتر وريجان وبوش ، ورجال البيت الأبيض .

ومن هنا فإننا نقـول : كيف يستقـيم في عقل أو دين أو وجـدان أن تقوم دعـوة للسلام تـتجـاهل هذه الخطط التي تقعقـع فيها طبول الحـرب الدينية وتصطرخ فيـها دعوات إبادة المسلمين ، في أقوى الدول المعـاصرة التي أخذت في يدها مصير العالم لمحض ما بيدها من قوة ؟

يجب أن نعترف هنا بأن للسياسيين أن يختاروا ما يرون من السياسات بحكم أنهم الجهة الأعلم بضرورات المرحلة ، وما تقتضيه من حركة أو تكتيك ، أو عقد معاهدة أو إلغاء معاهدة ..

وبنفس القدر من هذا الاعتراف يجب أن نعترف بأن المثقفين ليس موكولا إليهم اتخاذ شئ من هذه المواقف السياسية المتلونة بحسب الظروف ، وإنما هم الموكول إليهم تعريف الناس بالمواقف الثابتة التي تحرك تلك المواقف السياسية على مدى التاريخ .

وهنا فإن المرء ليعجب للمثقفين : كيف أقاموا جداراً من الصمت حول هذه الأصولية المسيحية الصهيونية الأمريكية بينما هم يغرقوننا يومياً في أدق النظريات المستوردة حول الاقتصاد والسياسة والاجتماع والفلسفة والشعر والقصة والمسرح والفنون التشكيلية حتى صرنا نعرف عن المذاهب الطبيعية والانطباعية والسيريالية والتكعيبية والبنيوية والعبثية والحداثية .. أكثر مما نعرف عن عدو يطرق أبوابنا ليطلب منا الرحيل في معركة هرمجدون ؟

كيف عملوا طوال قرن على إقصاء هذه الحقائق عن ساحتنا الثقافية وذهبوا يفسرون معاركنا تفسيراً واهناً مضللاً فيقدمون تفسيراتهم تارة باسم المصلحة ليذهب بعضهم إلى تقديم أنفسهم رجال شرطة للمستعمر لعله يرضى ، وتارة عن طريق النظرية الماركسية ليذهب آخرون يقدمون أنفسهم في ساحة الصراع الطبقي ، وتارة عن طريق التفاوت الحضاري ليذهب بعضهم في طريق يلهبون فيه ظهور شعوبهم في سباق حضاري مادي ميئوس ، وتارة عن طريق ما يسمى حقوق الإنسان ، وتارة عن طريق دعاوى الحرية ، والديموقراطية ، وهم في جميع الأحوال يعتمون تعتيماً كاملاً على الصبغة العدوانية الدينية للقضية ، بينما أصحاب المبادرة غارقون فيها لكن قعقعة السلاح وقد بدت في عنفوانها ووقاحتها كشفت عن المؤامرة ، بكل قبحها ودمارها ووحشيتها وعداوتها للإنسانية وللسلام .

نزول المسيح في الإسلام :

ثم نرجع لنقول لطلائع جيوش الأصولية المسيحية الصهيونية :

لقد أخطأتم العنوان ..

أخطأتم عنوان المسيح(عليه السلام).

إنه آت .

لكنه سيأتي مسلماً .

ونحن نقول لكم ما تقولونه في خفايا قلوبكم عن اليهود ، تقولون : إنه سيأتي ليعطي لهم الفرصة الأخيرة للهداية ، ونحن نقول لكم : سيأتي ليعطي الفرصة الأخيرة للهداية إلى الدين عند الله الذي هو الإسلام .

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ، فينزل عيسى فيقول أميرهم : تعال صل بنا ، فيقول : لا ، إن بعضكم على بعض أمراء ، تكرمة الله لهذه الأمة » اهـ لمسلم .

وفي رواية لمسلم بسنده عن ابن عمر مرفوعاً :«يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين - لا أدري أربعين يوماً أو شهراً أو عاماً - فيبعث الله عيسى كأنه عروة ابن مسعود ، فيطلبه فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين ، ليس بين

اثنين عداوة ، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام ، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه ، فيبقى شرار الناس في خفة الطير وإحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستجيبون ؟ فيقولون :بم تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان ، وهم في ذلك دار رزقهم ، حسن عيشهم » .

السلام المطلق :

ذلكم هو السلام على الأرض ، أما السلام المطلق فنحصل عليه في السماء .

إنه عندئذ يكون السلام المطلق في الآخرة ، إذ هي - للمؤمنين - دار السلام المطلق ﴿ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٧) ﴾(١)

ويصبح السلام - كما هو حياتهم - تحيتهم في لقائهم بربهم ، كما يصبح تحيتهم في لقائهم بالملائكة ، وكما

---

(١) الأنعام ١٢٦-١٢٧

يصبح تحيتهم في لقائهم بعضهم ببعض .

مع ربهم في قوله تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ (١).

مع الملائكة في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢) ﴾ (٢) .

﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (٣)

وفي لقاء بعضهم بعضاً في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠) ﴾ (٤) .

---

(١) الأحزاب : ٤٤ .

(٢) النحل : ٣٢.

(٣) الرعد : ٢٣-٢٤.

(٤) يونس : ٩ - ١٠.

ويصبح السلام فيها حقيقة واقعة ، لا لغواً تلوكه الألسنة، سلاماً حقيقياً ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيماً (٢٥) إِلاَّ قِيلاً سَلاماً سَلاماً (٢٦) ﴾[1]، سلاماً آمناً ، لا سلاماً مهدداً خائفاً ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ (٤٦) ﴾[2] .

سلاماً خالداً لا سلاماً موقوتاً ﴿ وأُدخل الَّذين آمنوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي من تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالدين فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ (٢٣) ﴾[3] .

ولكي تدعو - أو نصلي - من أجل السلام فإن دعاءنا يجب أن يكون مصحوباً بتوبتنا ، وعون الله في تحقيق حوائجنا من السلام.. ، يلزمه أن يكون مسبوقاً بعون الله في تخليصنا من الآثام ، وإن محمداً ﷺ ليعلمنا صلاة الحاجة في قوله ﷺ : « من كانت له حاجة إلى الله أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ ، فليحسن الوضوء ، ثم ليصل ركعتين ، ثم ليثن على الله ، وليصل على النبي ﷺ ثم ليقل : اللهم صل على محمد ، لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان

---

(١) الواقعة : ٢٤- ٢٦.

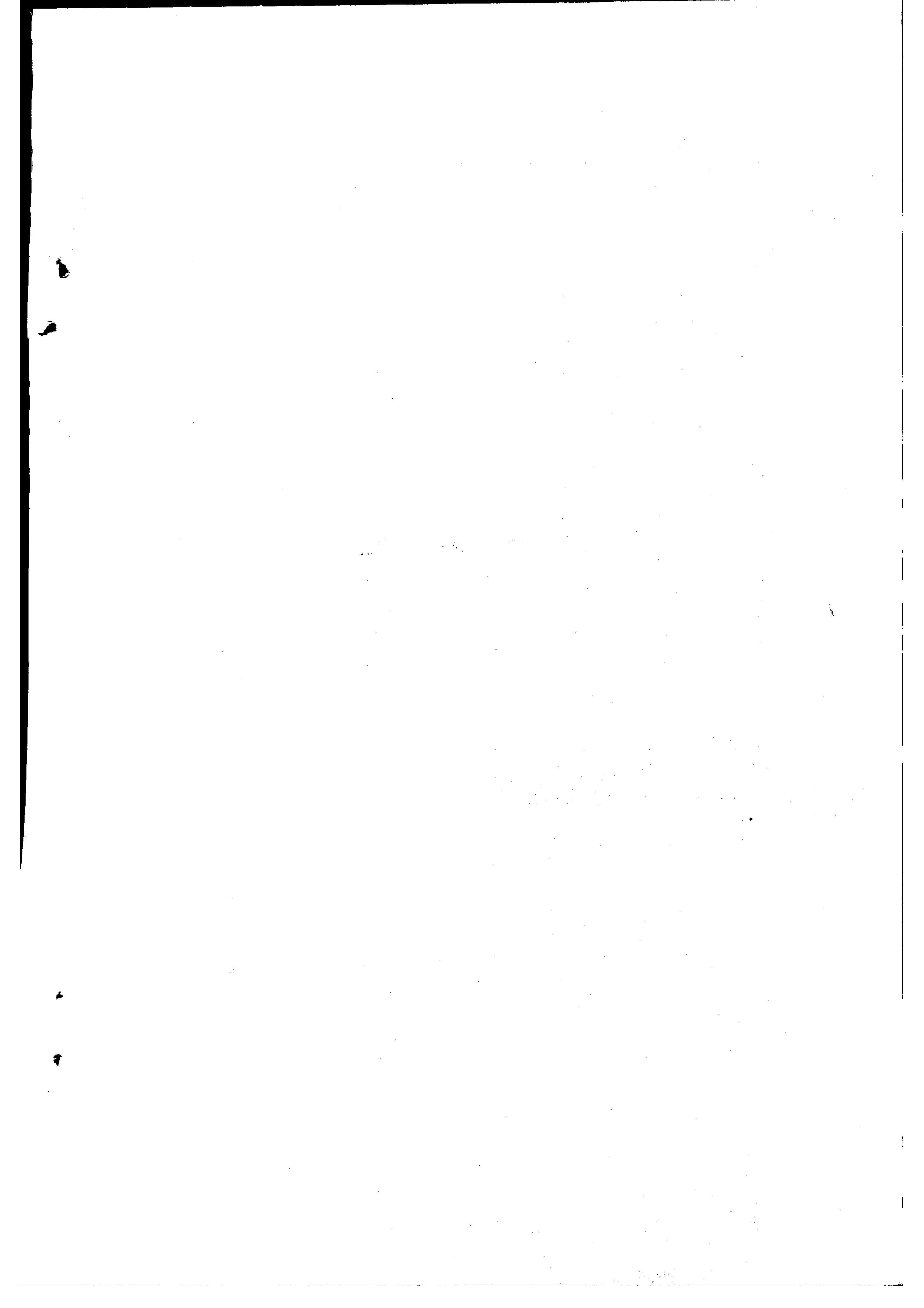
(٢) الحجر : ٤٦.

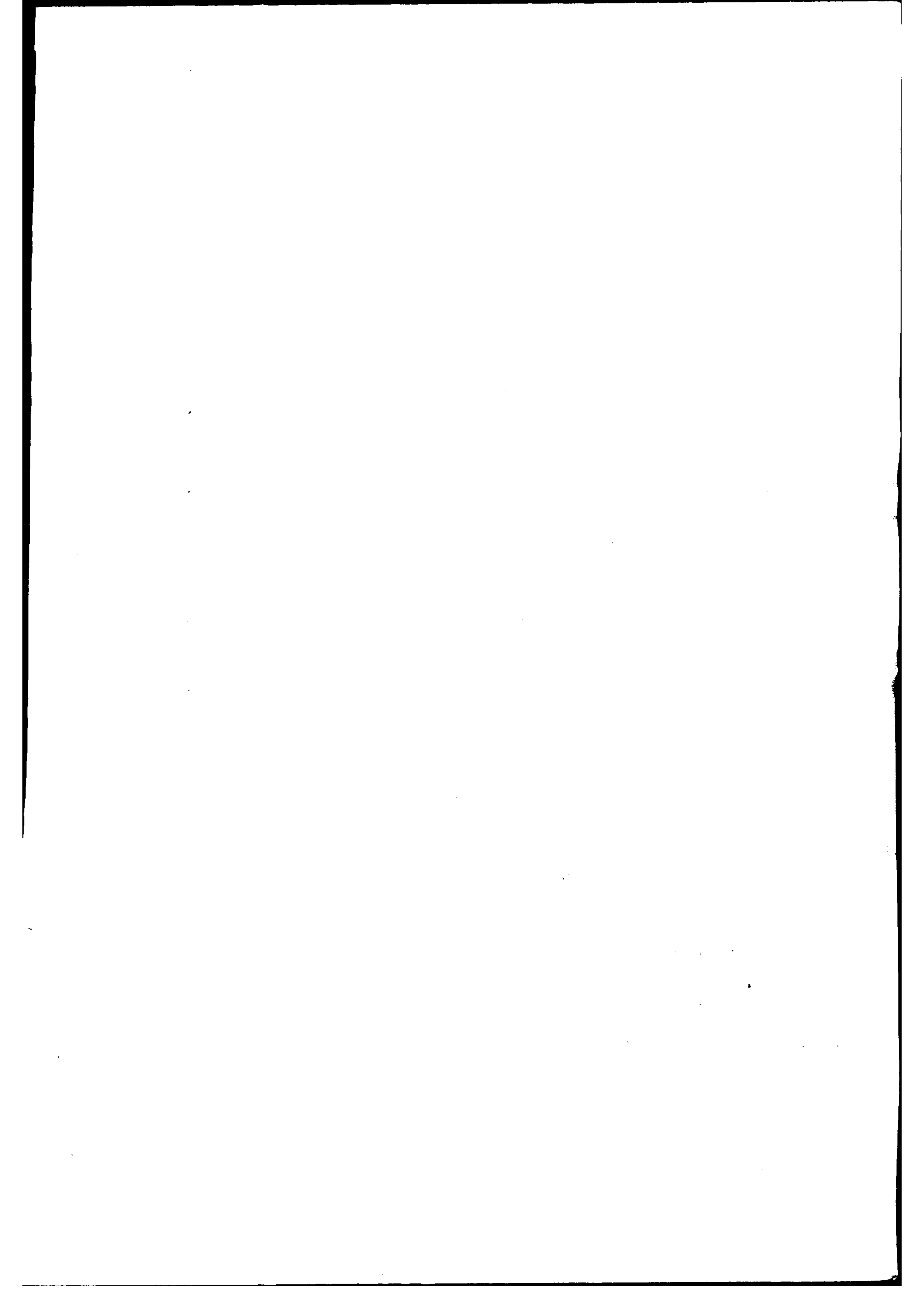
رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين ، أسألك اللهم موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلام من كل إثم ، لا تدع لي ذنباً إلا غفرته ، ولا هماً إلا فرجته ، ولا حاجة هي لك رضا إلا اقتضيتها يا أرحم الراحمين » ، أخرجه الترمذي في سننه ، ومثله في سنن ابن ماجه .

وفي المعجم الصغير للطبراني بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا طلبت حاجة فأحببت أن تنجح فقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الحكيم الكريم ، بسم الله الذي لا إله إلا هو الحي الحليم ، سبحان رب العرش العظيم ، الحمد لله ، رب العالمين ، كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ، بلاغ ، فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ، كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ، اللهم إني أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثـ ، اللهم لا تدع لي ذنباً إلا غفرته ، ولا هماً إلا فرجته ، ولا ديناً إلا قضيته ، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها ، برحمتك يا أرحم الراحمين » . والله أعلم .

* * *

الفهـــــرس





رقم الإيداع : ٨٨٠٠/ ٩٩

الترقيم الدولي : 977-5524-92-X